Contemporary Society and the Fluidity of Risks: A Sociological Study of the Al Haouz Earthquake and the Question of the Welfare State in Morocco

Dr. Mohamed Amine Amzazi[1]

Faculty of Letters and Human Sciences
Mohammed V University, Rabat, Morocco

Science Step Journal / SSJ

2025/Volume 3 - Issue 9

To cite this article: Amzazi, M. A. (2025). Contemporary society and the fluidity of risks: A sociological study of the Al Haouz earthquake and the question of the welfare state in Morocco. Science Step Journal, 3(9).440-470. https://doi.org/10.5281/zenodo.15783332 ISSN: 3009-500X.

Abstract

This study critically examines the governance of major risks in Morocco, using the 2023 Al Haouz earthquake as a revealing case that highlights the systemic dysfunctions within the country's social welfare apparatus. Situated within a context marked by profound socio-economic fragility and limited public management efficiency, the study explores three interrelated variables: the developmental paradigm of state governance, culture as a hegemonic cognitive framework, and society as a dynamic agent of both influence and susceptibility. The study underscores the centrality of social welfare mechanisms as strategic instruments for risk management, positioning them as foundational pillars for sustainable development, social cohesion, and, by extension, political stability. However, the analysis reveals critical impediments to effective risk governance, including fragmented institutional coordination and prevailing cultural paradigms that reinforce a fatalistic attitude toward disasters. Methodologically, the research adopts a descriptive-analytical approach, utilizing semi-structured interviews, digital media content analysis, and field observation. By engaging with the structural and cultural constraints shaping risk governance, the study offers a sociological contribution to the rethinking of welfare state modalities in Morocco. It advocates for a holistic and integrated policy framework that bridges institutional mechanisms with societal awareness, thereby enhancing national resilience and preparedness in the face of future catastrophes.

Keywords

Risk society, sociological perception of risk, public management, welfare state.

[1] Researcher in Sociology and Social Work
amineamzazi@gmail.com

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

المـجتمع الـراهن وسـيولة المخاطر
دراسـة سـوسـيولوجية لـزلزال الحـوزوسـؤال دولة الـرعـاية الاجتماعية بالمغرب

د. محمد أمـــين أمـــزازي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

ملخص

تتوخى هذه الدراسة مقاربة إشكالية تدبير المخاطر الكبرى في المغرب، مستحضرة تركيزها على فاجعة زلزال الحوز 2023 بوصفها مدخلا كاشفا لاختلالات نظام الرعاية الاجتماعية، ضمن سياق يتسم بهشاشة سوسيواقتصادية عميقة وضعف في فعالية التدبير العمومي. تعالج الدراسة ثلاث متغيرات رئيسية: التدبير التنموي للفعل العمومي، الثقافة كنظام ونسق ذهني مسيطر، والمجتمع كنظام اجتماعي متأثر ومؤثر. تكمن أهمية الدراسة في مساءلتها لأليات الرعاية الاجتماعية باعتبارها آلية إستراتيجية لإدارة المخاطر المحدقة، وتعد ركيزة أساسية لتحقيق التنمية البشرية وشرطا وظيفيا في تعزيز التماسك الاجتماعي، وهو ما ينعكس على أبعاد الاستقرار السياسي والتنمية الشاملة. كما أن ضعف التنسيق المؤسساتي والتصورات الثقافية النمطية التي ترسخ تصورا قدريًا للمخاطر يحول دون فعالية السياسات العمومية، مما يستدعي بناء على كل ما سبق مراجعة نقدية في نمط تدبير دولة الرعاية الاجتماعية بالمغرب. منهجيًا، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستفيدًا من مقابلات نصف موجهة، تحليل خطاب المحتوى الرقمي، والملاحظة الميدانية، تسهم هذه الدراسة في تعميق الفهم السوسيولوجي للإشكالات البنيوية والثقافية التي تعترض إرساء سياسات فعالة لإدارة المخاطر، وتدعو إلى تبني مقاربة متكاملة تدمج بين البعد المؤسساتي والوعي المجتمعي، بما يعزز قدرة المغرب على مواجهة الكوارث المستقبلية بيقظة واستباقية كبيرين.

الكلمات المفتاحية

مجتمع المخاطر، الإدراك السوسيولوجي للمخاطر، التدبير العمومي، دولة الرعاية الاجتماعية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

مقدمة:

إن الحاجة الملحة لإدراك سوسيولوجي لوقائع المخاطر والأزمات في أبعادها الاجتماعية والثقافية نابع من قناعات توازي وتيرة التبديلات الكبرى في مناحي الحياة الإنسانية في خضم عالم جارف نحو مآلات لا يقينيه تضعه على حافة منزلاقات المخاطر والتهديدات الكبرى.

وأمام هذا الوضع المأسوي للخراب المهدد للحياة الإنسانية وزعزعة سلامتها واستقرارها في سياق معولم أعاد تشكيل ملامح أنماط الحياة المعاصرة يمحو من خلاله نظام الدولة القومية، وينهج نصرة لعقيدة اللاقومية، ويدفع باللاحدود الى كونية شاملة نحو لحظة عيش كوزمبوليتانية[2] تدعم منطق السوق وتسليع الحياة، في مقابل التجاهل عن ملحاحية نظام الرعاية الاجتماعية بذرائع التكلفة وعبئ مسألتها الاجتماعية المستنزفة لخزائنه.

وفي سياق ما ذكر، تعلن سوسيولوجيا المخاطر نفسها فرعا مهما ضمن حقل السوسيولوجيا العام، فمدام الانسان هو مركز اهتمامها فإن تبعات المخاطر إزاء محيطه تعطي القيمة العلمية لهذا الفرع الناشئ ضمن اسهامات حقل السوسيولوجيا ككل.

وهو ما يعزز إسهام التحليل السوسيولوجي وممكناته لمقاربة ودراسة واقعة المخاطر من خلال حالة زلزال "الحوز" المغرب كظاهرة جيولوجية في الطبيعة لكنها اجتماعية في التأثير والتداعيات؛ تعكسها ردود أفعال، اجتماعية، وثقافية، وقيمية معبر عنها في شكل خطابات، ممارسات، تفاعلات، وطبعا كتمثلات. كما أنها تساءل منظومة مجتمعية يشرف عليها واقع الفعل العمومي (الدولة والحساسيات المدنية)، وترصد تبعا لذلك الشرط المجتمعي لمطلبية دولة الرعاية الاجتماعية عموما، وقدرتها على التعاطي مع تبعات تلك الكوارث، وتعاين شروط الوجود المجتمعي داخل المجال المتضرر.

وكل ذلك الرصد والإدراك السوسيولوجي صيغناه على هذا التصميم الهيكلي لموضوع المقال بداية من مقدمات نظرية تهم سوسيولوجيا المخاطر، وبانتقال تدريجي وممنهج حاولنا عبره استجلاء معالم نظام الرعاية الاجتماعية وحدود جدلية تدبيرها في السياق الراهن، مدركين للسياقات الملازمة لها والنزعة التدبيرية التي تطفو عليها بتأثير تقنوقراطي، وتسليط الضوء على بعض من معيقات إرساء نظام الرعاية الاجتماعية بالمغرب من خلال فهم مكامن تعثراتها والأنساق المتحكمة فيها. وفي الجزء الأخير من الدراسة، قمنا بعرض أهم النتائج المتوصل بها والتي تهم ادراكات سوسيولوجية في خصوص ما طرحنه من أسئلة تهم إشكالية بحثنا وفق محاور ورهانات بحثية سطرناها وضمنها في محصلة بحثنا.

---

[2] - الكوزمبوليتانية: هو مفهوم قديم، غير أنه تم استدعاؤه خلال العقدين الماضيين على نحو غير مسبوق، وبرز أكثر مع "اولريش بيك"، وهو سوسيولوجي ومفكر ألماني صاحب نظرية "مجتمع المخاطر العالمي"، ويعد واحدا من المؤسسين لسوسيولوجيا المخاطر، ويقصد بيك بالكوزمبوليتانية: "بفكرة المواطنة العالمية، وينعتها "بيك" بالخيار الأمثل للتعايش الانساني وتحقيق حلم المواطنة العالمية"، غير أنها طرحت بالمقابل إشكالية كونها خطر يهدد كيان الدولة القومية والهويات العالمية، لكونها تحاول طمسها وتهيجنها، إلا أن "بيك" يقصد بها القيم الانسانية المشتركة التي لا تلغي أحقية الانتماء القومي، بل العكس من ذلك فهو يتصوره على نحو يقوم على إرساء نظام عالمي يتعايش بدون اقصاء أو تمييز او انتهاك لحقوق الانسان بين المجتمعات وحتى داخل المجتمع الواحد نفسه، أنظر: أمين نعمان الصلاحي، "الكوزمبوليتالنية": مواطنة عالمية أم عولمة غربية؟ مجلة رواء،(العدد 21، ،تاريخ يوليوز2023).عبر الرابط: https://rawaamagazine.com. أطلع عليه يوم20-3-2023 الساعة 11 صباحا.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

منهجية الدراسة:

- **إشكالية الدراسة:** في قت وجيز وجد المغرب نفسه محاطا بدون سابق إنذار بمخاطر كبرى وتهديدات لكوارث طبيعية عديدة (أزمة الاحتباس الحراري، الجفاف، التصحر،....)، وهو ما أماطت عنه فاجعة زلزال الحوز الأخيرة في صيف 2023 اللثام، مؤكدة أن المجتمع المغربي أضحى في مواجهة مزمنة ومستمرة مع غضب وتمرد الطبيعة عليه شأنه شأن العديد من البلدان والمجتمعات العالمية منها المتقدمة نفسها، ولكن طبعا في سياقات وظروف وإمكانات تختلف عنها؛ سواء من حيث حدية تلك الكوارث بحكم الموقع الجغرافي والجيولوجي للمغرب، والذي يتواجد فوق أشرطة للعديد من الزلازل النشيطة، كما أن المغرب مصنف ضمن المناطق المعرضة للكوارث الطبيعية من قبيل فيضانات، انجرافات، ارتفاع الحرارة...الخ.

وما يزيد من تأزم تلك التهديدات المحتملة هو ظروف الهشاشة التي تطال بنياته الاجتماعية، الاقتصادية، والمجالية، ما يجعل سؤالا مؤرقا يفرزه هذا الوضع والذي يخص بالأساس مدى التحضير المسبق لمواجهة تلك الكوارث، وفي هذا السياق تأتي اشكاليتنا المركزية والتي صغناها في الآتي:

الى أي حد يمكن اعتبار المغرب يتوفر على أنظمة دولة الرعاية الاجتماعية؟ وأي أنماط تدبيرية تتميز بها دولة الرعاية الاجتماعية ببلادنا؟ وما المعيقات البنيوية والهيكيلية التي تؤثر على إرساء فعالية تدابيرها وإجراءاتها؟ وما الادراكات السوسيولوجية المستخلصة من حادث زلزال الحوز؟

وانطلقنا من فرضية أساسية للإجابة عن تلك الإشكالية: معتبرين بالرغم من المجهودات والمساعي المبذولة لإرساء دولة الرعاية الاجتماعية في المغرب من خلال سن السياسات والبرامج، إلا أن نسق التدبير العمومي لها تغلبه الارتجالية والرعونة المسبقة؛ لكونه مقترن بنزعة تقنوقراطية من جهة، ومن جهة ثانية يخضع تحت هيمنة لرؤية نيوليبرالية يحددها السوق قبل المجتمع.

- **أهداف الدراسة:** تحاول هذه الدراسة توجيه الانتباه الى ما أخذ يعرف بسوسيولوجيا المخاطر، باعتباره فرعا سوسيولوجيا ناشئ يقدم نفسه كقيمة علمية قادرة على الاسهام في فهم بعض من ملامح المجتمع الراهن، والذي يعيش على وقع انفلات ومخاطر مطردة ومتناسلة ستجعل منه مرجعا في فهم وتحليل العديد من الوقائع والظواهر ذات الارتباط بالمجتمع الحالي، كما ستكسبه رهانا معرفيا ينحو منحى التجسير وبعض من التكامل مع العلوم الأخرى (العلوم السياسية، الاقتصاد السياسي، الجغرافية البشرية...)؛ على مستويات تلامس حقائق الوجود الاجتماعي في سياقات ثقافية خاصة، وهو أمر يفيد انتاج المعرفة بإيبستيم الثقافات المحلية.

- **مقاربة ومنهج الدراسة:** مدامت الظاهرة التي نخصها بالفهم والتأويل تكتسي شيء من التعقيد أكثر منه الإشكال بحكم المقدمات العلمية لها، ويغلبها اللايقين بحكم الخاصية الفجائية للكوارث الطبيعية من جهة، وبحكم ما تلزمه الشروط العلمية للسوسيولوجيا في سياق قواعدها الصارمة والمحددة لها كعلم يهتم ويباشر الملموس منه أكثر من المجرد من جهة ثانية، بالإضافة الى غاياته الابستيمية والتي تقوم على مقاربة ودراسة الذات الواعية أكثر منها الغيبية، فكلها أمور استدعت منا مقاربة تأخذ من المخيال السوسيولوجي

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

والإعمال الاستحضاري للواقعة حتمية ومنطقا، غير أننا حاولنا توجيه مقاربتنا من خلال ثلاثة محددات رئيسة بشكل جدلي، وهي: الدولة (التدبير العمومي)، الثقافة (كنسق ذهني مسيطر)، والمجتمع (كجسم اجتماعي) مؤثر ومتأثر. ما يعني أن فعل المفهمة للكارثة (الزلزال) يساءل هاته الأطر والبنيات.

- **منهج الدراسة**: وعلى المستوى المنهج المعتمد فقد استعنا بالمنهج الوصفي التحليلي والذي اخترناه قناعة منا بأن ظواهر من هذا القبيل يبقى الحسم فيها تأويلا ومقارنة للتصورات والأفعال، وكذا الخطابات الناتجة عنها مجتمعيا، ما يستقر حدود تفسيره وتحليله من زاوية محاولة الفهم أكثر منه التفسير والتحديد السببي تلافيا لأي مطبات ابستيمية أو بحثية قد تعيب خطة البحث، كما قد تعيب مصداقية نتائجها.

وفي ذلك حددنا عينة تمثيلية انتقائية تلائم رهانات البحث وتتجاوب مع مقدمة اشكاليته، وحصرناها في عدد (24) مستجوب (ة)، لم نراعي فيها المحددات الديمغرافية (السن، الجنس، المستوى الدراسي)، مدام الموضوع المتطرق اليه يهم كل شرائح المجتمع ويشارك فيه انسانيته وهويته قبل أي تحديد مسبق.

وفضلا عن البحث المباشر والذي أخذت فيه المقابلات النصف موجهة حيزه، حاولنا تنويع مصادر معلوماتنا باعتماد العالم الافتراضي (مواقع التواصل الاجتماعي) مع ملاحظة بعض مشاهد من المجتمع المعني (بعض مناطق إقليم الحوز)، فضلا عن محاولة تحليل مضمون لبعض الأخبار والصور والفيديوهات المتداولة لحادث الزلزال.

ومهما كان سعينا الحثيث لمحاولة الإحاطة بالموضوع وفق اشكاليتنا، غير أننا لا يمكننا الإدعاء بأن مسحا أو بحثا من هذا القبيل قد يمنحه القدرة على الإحاطة الكاملة للموضوع، بقدر ما يمنحه فرصة لفتح نافذة البحث والتقصي لتوسيع منار أفاقه المعرفية والبحثية والتي تحتاج الى محاولات تكثيف في الفهم والتفسير.

أولا: نحو تأصيل نظري ناشئ لسوسيولوجيا المخاطر

قد يستوعب الإطار النظري إمكانية تقديم إجابات على شكل حقائق ونتائج معممة لتأويلات يكاد يجمع حولها العديد من المفكرين والباحثين السوسيولوجيين إزاء ظواهر، ووقائع اجتماعية، مهما التبست حولها الذات الباحثة؛ كونها انعكاس لما تحمله من وعي وتكوين معرفي سابق تدفع الباحث بالأخذ بها كوثوقيات من قبيل خلفيات إيديولوجية؛ أطر مرجعية، ثقافية، أو من حيث انتسابه لمدارس نظرية كبرى من داخل براديجم التخصص السوسيولوجي نفسه(طبيعة تفسرية، أو فهمية).[3]

[3] - ما نود احالته هنا أن البراديجم السوسيولوجي يبقى بتحديات علمية تعيد جدلية الذات بالموضوع، لكن تستوعب الفهم للظواهر من منطلقات عاكسة للذات الباحثة؛ والتي لا تعني اقصاءها كما يتضمنه البحث الوضعي، بقدر ما تعيد تعميق فهما من خلال تراكمات وخبرات ووعي الباحث

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

غير أن الجزم المبكر في الوصول الى استنتاجات حول ظواهر لا تزال قيد التشكل أو في صيغ تبدلية دائمة تجعل هاته الاجتهادات النظرية على هذا النحو يكنفها الغموض والريب في مصداقيتها أو على مستوى قياسات حقائقها. ولكن لابد لنا أن نقر بأن ما كان يدخل ضمن خانة صعب الحدوث قد أضحى قابل للتحقق وضمن دائرة المألوف. وهو ما غدى يعيش على وقعه المجتمع المعاصر في ذهولية، وسرعان ما تحولت فجائياته الى معقولية.[4] ولعل الأهم من كل ذلك هو إدراك فواجع كونها تعكس في هذا المقطع التاريخي لحظات مكاشفة للنظام الاجتماعي، ذلك أن جل الأنساق والعلاقات والتفاعلات أصبحت فجأة ذات إشكالية، والفرضيات المسلم بها للحياة الاجتماعية تزعزعت لتحل محل غموض وتعتيم عريض. ولا بد أن نستحضر اللحظة التي تحدث فيها المخاطر هي اللحظة نفسها التي يعرف فيها المجتمع تبدلا مباغتا. وتصبح بذلك شكلا من أشكال ظواهره الاجتماعية التي تتطلب تعريفا اجتماعيا لكن برؤية ابستيمية تقطع مع المسلمات التي اعتدنا عليها.[5]

ما نود الإشارة اليه في هذا الصدد، أن الفهم النظري السائد بقي الى وقت قريب يؤمن بأن المعرفة العلمية قادرة على إعطاء توصيف موضوعي للعالم الخارجي، مهما بلغت درجة تعقيداته، وذلك من خلال تفكيكه الى تفاصيل وجزئيات. وهو ما قدنا اليه دافع الاطلاع والفضول المعرفي في التمعن واستقراء أهم الأطر النظرية النظرية التي عكفت من أجل الإحاطة بفهم سوسيولوجي لمجتمع المخاطر.

فما هي إذن أهم تلك النظريات المقاربة لإشكالات المخاطر؟ وما طبيعة المنطلقات والخلفيات المؤطرة لما يمكن تسميته بسوسيولوجيا المخاطر؟ وأي اسهام للتنظير السوسيولوجي في فهم واقعة المخاطر؟

1.1: نظرية مجتمع المخاطر العالمي "لأولريش بيك": العولمة المغررة والأعراض المؤرقة

يعتبر مفهوم مجتمع المخاطر نحتا ابداعيا لصاحبه الألماني "أولريش بك"(Ulrich Beck)[6]، وهو الذي عنون كتابه الشهير الصادر سنة (1986)، "بمجتمع المخاطرة": نحو حداثة جديدة. ليعيد نفس العنوان في عملا أخر صدر له سنة (2006) في كتاب يحمل "مجتمع المخاطر العالمي": بحثا عن الأمان المفقود. وهو في ذلك يحيل الى انتقال مقامي يهم تحول راديكالي في كينونة المخاطر و مآلاتها الغير محسوبة الوقوع ولا التداعيات المخلفة.

[4] - درام البصام، ابستمولوجيا الجائحة : في "معرفة المعرفة" الجسد والثقافة والمجتمع، مجلة عمران،ع36، (المركز العربي للأبحاث والدراسات، الدوحة،قطر،2001)،ص:5

[5] - درام البصام، مرجع سابق، ص: 6

[6] - أ ولريش بيك من أشهر علماء الاجتماع الألمان المعاصرين، الذين ارتكزت أعمالهم بصفة خاصة على مواضيع العولمة والحداثة وعواقبهما على المجتمع الإنساني، وفي هذا الصدد نشر الى جانب مؤلفه الشهير مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الامان المفقود، وله مؤلفات عديدة من قبيل: ما هي العولمة، السلطة والسلطة المضادة، وساهم أيضا بمصطلحات من قبيل "مجتمع المخاطر"، و"الحداثة النسبية"، وفقا لبيك ينبع كل التفكير السياسي أو الاجتماعي المعاصر من القومية المنهجية ما يعرف (بمفهوم الكوسمبوليتية).

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ففي كتباه الأول يستجلي الأسباب والمسببات للمخاطر المتوقع حدوثها (حروب، انتكاسات اقتصادية، أزمات اجتماعية) بناء على سلوكات وممارسات قابلة للقياس والتتبع، في حين يغاير هذا المنظور في كتابه الأخير حينما يرصد لنا مخاطر وتهديدات أكثر انفلاتا وذعرا من سابقتها، وما يزيد حديتها، هو أنها يصعب التنبؤ بوقت أو مكان حدوثها، ما يجعل لا يقينيتها أكثر خطورة من مخاطرها، فتصبح على هذا النحو الجديد أكثر وقعا من سابقتها.[7]

يحاول "أولريش بيك" أن يطلعنا بالإشكال والمناحي التي أخذتها المخاطر من كونها أضحت أكثر كونية وتلازم حياتنا اليومية، وهولها أكثر من مؤشراتها، ما يجعل العالم المعاصر يعيش على خوف مفازع لا معرفة له من حيث المصدر، أو من حيث الزمكان، أو من حيث طبيعة الخطورة التي سيتخذها.

ويحدد "أولريش بيك" خصائص الخطر: في كونه لا يستثني المجتمعات، بقدر ما لا يستثني أيضا الطبقات داخل نفس المجتمع. كما أنه يهم مسببه قبل ضحيته؛[8] وفي ذلك مفارقات لامتدادات نسق تطور الحياة الحداثية بتمديداتها وإفرازاتها الانعكاسية لمخاطر محدقة وملازمة لنسق وشكل الوجود.

وبذلك، يظهر جليا، أن "أولريش بيك" بنحته لمفهوم "مجتمع المخاطر" هو يحصر الأعراض الجانبية لمجتمعات العولمة، والتي يحملها مداخيل تلك المخاطر وتفاقماتها على نحو نمط الحياة المتداخلة في سياق هويات هجينة ومجتمع الشبكات والتي أخذت تنقل لمخاطر كعدوى متطايرة ومنتشرة، مستقرءا حدود التباينات بين مجتمع المخاطرة،[9] كما أتى به في الكتاب الأول؛[10] أي أشكال من المخاطر الممكن التحكم فيها ورصدها ومعالجتها، وبين مجتمع المخاطر الذي يعكس أزمة تلك المخاطر نظير حديتها الشديدة وشكلها اللايقين والمباغت والمهدد لكل المجتمعات في سياق معولم.

وهكذا يمكن أن نستنتج أن نظرية مجتمع المخاطر العالمي تتأسس على ثلاث مقتربات نجد منها ـ**المقترب الأول العولمة**: والتي أضفت على المخاطر امتدادا قوميا، فبات على هذا النحو تدبيرها والوقاية منها لن يتم إلا بإرادة عالمية في سياق دولي أو ما يسميها "أولريشك بيك" بالمنهجية الكوزمبوليتانية، بعدما كانت تفهم وتعالج في سياق قومي داخلي. وبذلك، فنظرية "بيك" تتبنى طرحا عموديا، باعتبار أن السياق المعولم هو مركز التصدير الحقيقي لكل تلك المخاطر، لتنتقل الى ما هو دولي ثم الى ما هو محلي، وذلك في شكل تفاعلي بين المستويات الماكرو الثلاث.

[7] - أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود، ترجمة علا عادل وأخرون، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر،2013)، ص: 8

[8] - أولريش بيك، مرجع سابق، ص: 10

[9] - المرجع نفسه، ص:13

[9]- أنظر: أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، ترجمة جورج كثورة و إلهام الشعراني،(المكتبة الشرقية، بيروت لبنان،، 2009)

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

مما يحيل على فهم وتحليل سوسيولوجي للمخاطر في هذا الشكل الجديد خارج الحدود والظروف المجتمعية الخاصة بكل مجتمع على حدى.

. المقترب الثاني: ما سماه "بيك" بالتصوير والإخراج السينمائي للمخاطرة، محيلا في ذلك على ما أخذت عليه الوقائع من تداول إعلامي ملفت، وما اتخذته الحياة اليومية من لغط وأخبار عن هول الفواجع والمخاطر، وفي هذا الزخم المكثف والاهتمام المتزايد تحضر مفعولية تلك التصويرات لأحداث المخاطر بنوع من التوجيه للرأي العام من أجل التثقيف وتشكيل الوعي اتجاه تلك المخاطر.

علما أن تلك المخاطر أضحت تستنفر حياتنا وتزرع مخاوفنا أكثر مما مضى، ما يجعلها رغم لا يقينيتها إلا أنها تتواجد في مخيلتنا وحاضرة في حياتنا وقعا وتأثيرا ومباغثة لنا بدون سابق إنذار أو مؤشرات عنها.

. المقترب الثالث: وضع تصنيفي لأنماط المخاطر التي تجتاح عالمنا المعاصر؛ وفي هذا الصدد يميز بيك بين ثلاث أنواع للمخاطر وهي: مخاطر بيئية واقتصادية؛ وهي مخاطر تأتي صدفة أي خارج عن إرادة وقدرة الأفراد ومخاطر الإرهاب والحروب المدمرة والنزاعات الاثنية والثقافية والطوائفية والعنصرية،[11] ويعتبرها "بيك" مخاطر مفتعلة تسبب فيها السلوكات والممارسات ذات النزوع الشرانية لقبح والطباع السلبية للإنسان المفتعلة والصادرة منه.

ما يمكن أن نخلص اليه تحليلا وتفاعلا مع نظرية "أولريش بيك" لمجتمع المخاطر العالمي أنه الى جانب خصائصها ذات الطابع الكوني والغير المنتقي في مجال أو مجتمع ما، فإنه يكسبنا وعيا بأن الجميع معني دون غيره من تلك التهديدات الفجائية، معتبرا أن الاعراض الجانبية لمقدمات الحداثة المتأخرة والتي تصدرها بشكل طاغي قيم العولمة المنجرفة والممتدة الى كل الحدود. وبالنظر الى ما يصنعه الخبراء والعلماء وما يصوره المثقفون على أنه أقصى عتبات التقدم والتطور التقني، فهو يقبع وراءه جهل تقديري بما أضحى يهدد منابع الحياة الإنسانية ويصادر حق العيش فيها بدافع التطور المهووس دون حذر أو حسابات تقديرية، يجعل العامة من الناس هي من ترى وتدرك المنعطفات والتهديدات الملاحقة للوجود البشري، فيكون مجتمع المخاطر معاكسا لما وعدتنا به الحداثة وما انتظرناه تطلعا من مغريات العولمة.

2: نظرية الحداثة السائلة "لزيغمونت بومان": الخوف الطاغي حقيقة مضمرة لأقنعة الحداثة المعولمة

تتقارب بعض الأطروحات الفكرية والاجتماعية الى حد التماهي فيما بينها، على أن معطيات الحداثة والعولمة غيرت كثيرا من المقولات المتعلقة في إطار العيش في أمان، في مقابل حياة تتسم بالخوف ومجتمعات توسمها الفوضى واللايقين. وكلها توصيفات لما أنتجته مظاهر العولمة والحداثة المغررين على نقيض لما عهدونا به، في مقابل الانتصار لقيم الانسان والنهوض بأوضاعه وتحريره من كل معيقات التخلف، وموانع الرفاهية، وكل وعود التقدم والرخو المنشود.

[10]- أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود، مرجع سابق، ص:122

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ونتيجة لمغريات الحداثة السائلة على تعبير البولندي "زيغمونت بومان"(Zygmunt Bauman)، : " والذي يؤكد أنه بقدر السعي وراء هذه الحياة، بقدر ما تزداد المخاطر ويزيد الخوف من المستقبل، ومن زوال السعادة.

وبالتالي لا يمكن أن نعيش هذه الحياة بعيدا عن الخوف استمرارا في قول "بومان": " فليت حياتنا خالية من الخوف والزمن الحديث السائل الذي تعاش فيه حياتنا ليس خاليا من الأخطار والتهديدات، بل إن الحياة بأسرها في هذا الزمن هي صراع طويل خاسر على الأرجح ضد إمكانية التأثير السلبي المحتمل للمخاوف"[12]. ما يعني أن الحياة بناء على استشهاد "بومان" هو بحث مستمر وتفكير ملي من أجل إيجاد السبل والأدوات الكفيلة بمنع وقوع الأخطار وتفادي تبعاتها.

من هذا الطرح الواضح "لبومان" يتبين مستويات التقارب، إن لم نقل التأييد الضمني لخصائص المجتمع المعاصر، باعتباره مجتمع نزوعات المخاطر وهي ما تعكسها صورة عن مآلات الفواجع التي تشكل ملامحه، والتي يتوافق فيها طرح "أولريش بيك" كما بين سابقا مع تصور "بومان"؛ بأن أصل كل تلك المخاطر وجذورها يستقيم على أنقاض ما وعدتنا به الحداثة. وإن كان كل منهما يميز الحداثة بتسمية تخصه، "فأولريش بيك"، يعرفها: "بالحداثة المتأخرة والانعكاسية"،[13] في حين نجد "بومان" ينعتها: "بالحداثة السائلة"، غير أن هذا الاختلاف الاصطلاحي لا يفسد لود القضية المشتركة بينهما، كون أن مقدمات التحليل بينهما مشترك على مستوى توصيف الحداثة بالمنقلبة والسلبية على حياة الانسان وما تتضمنه هو بواعث لكل تلك المخاطر والفواجع المهددة.

وأمام هذا الوضع الذي يبدو أكثر حيرة وقلق مزمن فإن من الطبيعي أن يبعث ذلك بشعور قوي من الخوف والطاغي في مختلف مناحي الحياة. وإن كان هذا الخوف لم ينفصل عن جذوره في مرحلة الحداثة الصلبة، والتي يعني بها" بومان": مرحلة الحداثة الأولى من منتصف القرن 19 الى التسعينات من القرن الماضي، أي من حداثة التحرر والانتماء للعقل وأخلاق التنوير الى حدود انهيار الاتحاد السوفياتي في أواخر الثمانينات، وبروز ملامح لحياة جديدة تؤثر فيها أنماط العولمة وامتداداتها.[14]

فنفسها الحداثة الصلبة يشير "بومان "والتي أطرت حقبة المجتمع الصناعي بمستويات عالية من التطور مكنها في غزو المجتمعات الأخرى، بمكاسب تهم حماية ثقافة الحقوق واستجابة لكل أصنافها، ثقافية، عقائدية، وايديلوجية بالدفاع عن كل ما تختزله أطر التنوير والفكر المنفتح التي استندت عليها روحها، غير أن سرعان ما انقلبت عليها مضمونا لا شكلا في الجوانب القيمية الداعمة للعيش الإنساني المشترك بفضائل السلم والأمان والخير المتسع للعالم باسم روح التنوير والانعتاق من سلطان الدين وتعسفاته الوثوقية، وبمنح الحريات والحقوق تجلي لملامح الحياة الإنسانية الطموحة والمتطورة.

---

[12] - زيغمونت بومان، وديفيد ليون، "الحداثة السائلة"، ترجمة حجاج أبو جبر، ط2 (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث،2016)، ص:75

[13] - يمكن الرجوع أيضا في اطار تحديد المفاهيم التي ارتبط بأعراض الحداثة الى عالم الاجتماع الانجليزي أنتوني جيدنز ينظر الى: "بعيدا عن اليسار واليمين": "مستقبل السياسات الراديكالية"، ترجمة جلال شوقي جلال، (سلسة عالم المعرفة، ع286،2002).

[13]- زيجمونت بومان، وديفيد ليون، الحياة السائلة، ترجمة حجاج أو جبر، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث،2013)، ص:20

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وإذا كانت هاته الحداثة الصلبة في حد ذاتها انعواج وتراجع عن مقدمات التنوير للتخلص من أهزال الجهل وترسبات القدسية المطلقة ورقابة الشعور والوعي من اجترار التراث والتمسك بأزليات التاريخ العابر، وانقلاب عن مفاهيم الحقوق الفضلى للجميع، غير أنها ومع ذلك حافظت شيئا ما على نسق الثوابت في الحفاظ على حياة التنظيم والعقد الاجتماعي بين الأفراد والدولة في الحفظ على الوحدة والاستقرار من داخل الدولة الوطنية؛ تكريسا لتحصين الذات والهويات ودعم الانتماء المجتمعي والوطني للأمة ومجابهة كل المخاطر في سياق ملتحم ومتماسك وفق ذلك التعاقد المجتمعي.

الأمر الذي عاكسته بشكل مطلق وعملت على تفكيكه وتميعه مظاهر الحداثة السائلة في مراحلها المتطورة (حداثة العلومة)،[15] والتي نطفت جنينها في رحم العولمة والنيوليبيرالية التي اختارت الاستهلاك والماديات انسانيتها الحقيقية والسوق نظاما لها، فأفرغت النظام السياسي محتواه حينما أعملت على نقل السلطة من دواليب مؤسسات الدولة وجعلت من شرعيتها زيفا سياسيا، ومنحت الخواص والمحتكرين الرأسماليين مفاعيل ومقاليد الإشراف والتوجيه لكل ما هو تدبيري واستراتيجي يعمل من أجل تحرير الاقتصاد مقابل تقليص الاجتماعي وإخراجه من معادلتها في طريق المجهول والذائبة في فوضى تهافت المال والأعمال، ما يثير مخاوف ورعب الأخلاقيات الإنسانية اتجاه الوضع المادي الطاغي لمظاهر الحياة المعاصرة.[16]

كما أن التقنية المتطورة التي بلغتها الحداثة أصبحت تختنق العالم وتنشر المخاطر وتصدر الازمات فتحولت الحياة اتباعا لها لحياة محفوفة بالأخطار يحيها المرء في حالة من الخوف الدائم،[17] وبالتالي أصبح الخوف من المستقبل خاصية الحداثة السائلة، فالسمة البارزة في مجتمعنا المعاصر هي الخوف من كل شيء، وهو خوف معمم يعني الجميع بدون استثناء أي كرهاب عالمي، وقد عملت الحداثة في طورها السائل على خصخصة الأمن نفسه، حيث ظهر السوق كمعوض للدولة في الحماية والأمن، انتقلت في سياقه دور الرعاية الاجتماعية بتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين وأمن الحماية الاجتماعية لهم الى دور الدولة الأمنية؛ التي غايتها استتباب الأمن العمومي (الجريمة، الإرهاب) لا الاجتماعي (حماية العيش والكرامة الإنسانية).[18]

وهو ما يتماشى مع طرح "أولريش بيك" حينما تحدث عن اقتصاد الخوف، ملاحظا أن الأمن الشخصي أصبح هدفا أكثر من المجتمعي، كما أضحى خدمة وسلعة مؤديا عليها مثل فواتير الماء والكهرباء، يتم تنظيمها من طرف قطاعي العام والخاص، في حين أن حدود التفكير السائل في المجتمع الذي ينبني على تأمين السلامة الشخصية ووأد المخاطر يقترن لدى الفئة القادرة على تأدية فاتورتها،[19] كما أن هذه المخاطر أخذت منحى ديمقراطية، كما سبق وأن ذكرناه مع "أولريش بيك" بكونه يستهدف الغني قبل الفقير على قدم المساواة ودونما أي تمييز.

---

[15]- زيجمونت بومان وديفيد ليون، الحداثة السائلة، مرجع سابق، ص: 88

[16] - أنظر: الى: كريستيان بازينتي، مدار الفوضى: تغير المناخ والجغرافيا الجديدة للعنف، ترجمة سعد الدين خرفان، (عالم المعرفة، ع 411، 2014).

[17] - زيجمونت بومان وديفيد ليون، الخوف السائل،، ترجمة دجاج أبو جبر، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث،2017)، ص:88

[18] - المرجع نفسه، ص: 93

[19] - زيجمونت بومان وديفيد ليون، الخوف السائل، مرجع سابق، ص: 112

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ما نستخلصه من ركائز المشروع التحليلي "الباوماني" هو استناده على حالة الإنسانية في تقبلها بين أطوار الحداثة بالانتقال من مجتمع منتج في سياق ما نعتها بالحداثة الصلبة الى مجتمع مهووس بالاستهلاك وسائل في ذوبانه بتحلل قيمي أخلاقي وحتى منطقي، لكونه أخذ ينزع هوس التدمير والهلاك والتسبب في المخاطر؛ بل الأدهى من كل ذلك أنه في تراجيدية حياة المخاطر حولها الى سوق للكسب والربح بفبركات حروب بيولوجية وكيماوية (كرونا وما طرحه من تبادل اتهامات بين مختبرات الصين وأمريكا)، وشدة التنافسية في صناعة التلقيحات والمنافسة على أسواق البيع العالمي،[20] الى جانب شكوك تحوم أزمات ايكولوجية وبيئية مسببها المباشر نهم وجشع تجار الشركات المتعددة الجنسية للمصادر والطاقات (أزمات ارتفاع أسعار البترول في العديد من الدول)، ما يؤكد طرح "بومان" بأن كل شيء قابل للامتلاك والعيش به يتم تسليعه والتضارب حوله ما يجعل المخاطر واقعا وعيشا يوميا.

مما لاشك فيه أن هذا التأصيل النظري لسوسيولوجيا المخاطر والتي تضمنت حصيلة عرضه أهم المفاهيم التركيبية والمقولات التحليلية لمحاولة وصف ملامح المجتمع المعاصر، وإثارة إدراك الوعي به لا يتخذ إجابات منتهية الاستيعاب ومكتملة الإمساك بإشكالية المخاطر كظاهرة اجتماعية ثم الحسم في سبر أغوارها وإماطة اللثام عن تفاصيلها، ولو أن اعتمادنا على تفسيرات من هذا الحجم في الدقة والتوصيف من قبل أطر نظرية يعد بها في معالجة قضايا المجتمع المعاصر عامة، وتحديات المخاطر خاصة، يرتبطان بإجماع كبير حول الارتدادات النظرية "لأولريش بيك" و" زيغمونت بومان"، باعتبارهما دليلا يستنير به العديد من الباحثين والمهتمين بقضايا الراهن (ما بعد الحداثة، العولمة، الهوية الخليط، دولة السوق...).

ما يجعل خيارنا لهما لم يكن اعتباطيا أو محض صدفة، بقدر ما ارتأينا توظيفهما كأطر نظرية لامسنا فيها قدرة الإحاطة وعمق الرؤية العلمية المستندة بخلفيات فكرية وتحليلية تفيد فهم الواقع الحالي بتناقضاته ومفارقاته، دونما القطع معه من زاوية علاجية مختصرة، أو منتصرة كترجيح أو توجه دوغمائي نقتنع به ونعمم قناعاته بالجزم والتأكيد على الجميع.

ختاما، يمكن حصر تشارك والتقاء التصور النظري لكل من "زيغمونت بومان" و"أولريش بيك" على مستوى رصدهما لملامح المخاطر والتهديدات العالمية المطردة في أربع نقط مشتركة.

1: اعتبار اللحظة الراهنة هي لحظة انقطاع جذري في تاريخ الحداثة بمعنى أنها نقلة مجتمعية في حياة مختلف المجتمعات والبشرية عامة.

2: أن مفهوم الخطر قد أضحى المحرك الرئيسي للبنى المجتمعية المعاصرة.

3: أن مقولة وحدة المصير البشري "التنورية" والتي ناقضتها مسيرة الحداثة وحولتها الى مساحة للفعل الرمزي، تستحيل أن تحولها الآن الى حقيقة واقعة ومفاد ذلك عدم قدرة الحداثة على الإيفاء بوعودها.

[20] - يمكن الرجوع الى مؤلف: أمين معلوف، "الهويات القاتلة": "قراءة في الإنتماء والعلومة"، ترجمة نبيل محسن،(داورد، دمشق،1999)

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

4: أن جل هذه التحولات يفرض إعادة النظر في مدى فعالية منظومات القيم العالمية وصياغة نسق نظري وتفسيري بديل لفهم السياقات الطارئة واللامحدودة في ضوء "براديجم اللايقين" ونموذج نظري " "لسوسيولوجيا المخاطر".

ثانيا: دولة الرعاية الاجتماعية وارتباكات التدبير العمومي: نحو مقاربة نقدية للتدبير التقنوقراطي

1.2: في فهم سياق نشأة ومفهوم دولة الرعاية الاجتماعية

لم يكن ظهور مفهوم دولة الرعاية الاجتماعية بالمعنى المؤسساتي بعد الحرب العالمية الثانية، سوى رد فعل عن تردي الأوضاع الاجتماعية التي عاشتها أروبا خلال تلك الفترة ووازها انهيار لبعض القيم المعيارية التي ارتكزت عليها الليبرالية الكلاسيكية، وهو ما أجبر الدولة الى إعادة التفكير في محاولة إيجاد توازن على مستويات الحياة السوسيواقتصادية، وذلك بنوع من الانحياز الى الاهتمام المتزايد بالشأن الاجتماعي وجعله في أولويات التخطيطات التنموية وداعما للشأن الاقتصادي، وهو ما ترجمته نظريا وعمليا الحركة الاقتصادية الكينزية.[21]

ومع بروز نظام دولة الرعاية الاجتماعية خاصة بعد الأزمة الاقتصادية العالمية (1929)، وبعد فشل المقاربة الكينزية[22] نفسها في القدرة على خلق توازن بين المجالين الاقتصادي والاجتماعي، سيتم إعادة النظر مرة أخرى في السياسات الاجتماعية المعتمدة، وستطفو على السطح أفكار تدعوا الى ما يعرف بمفهوم الدولة الضبطية؛ والتي تحيل تعريفا مخالفا لما جاء به "كينز" من خلال دولة اجتماعية تراعي الاستثمار الاقتصادي والنمو الاقتصادي لكن دون نسيان تجويد الخدمات الاجتماعية وإعادة تدخل الدولة في توزيع النفقات الاجتماعية خاصة للفئات المحتاجة. وهو ما اعتبر تراجعا عن تلك المكتسبات بإعمال السوق ومنطقه ومحاولة اجلاء دور الدولة فيه، بقدر ما تعمل على حمايته دون توجيهه أو التأثير فيه، ما يحيل أن تعريفا لدولة الرعاية الاجتماعية وإن اختلفت حوله التوجهات والأشكال من قبيل ما عرف بداية كشكل تأميني مع "بيسمارك" (Bismarck).[23] التي تستند على دعم الإنفاق العمومي مقابل الانفاق الاستثماري والاستهلاكي الخاص يبقى مفهوما قائما على مدى حضورية الشأن الاجتماعي كضرورة في أي اصلاح اقتصادي او تنموي.[24] فمهما تضاربت الآراء حول أنظمة الدولة بانحياز للسوق أو بالتوازي معه، أو حتى باعتبار الاجتماعي شأنا ذا أولوية.

---

[21] - أحمد السيد النجار وأخرون، دولة الرعاية الرفاهية الاجتماعية (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، ص:87

[22] - هي مقاربة الكينزية نسبة "جون مينارد كينز" وهو اقتصادي انجليزي كان لأفكاره تأثير كبير على الاقتصاد المعاصر والنظريات السياسية وعلى السياسات النقدية للحكومات، بحيث دافع عن تدخل الدولة في الاقتصاد، عن طريق اجراءات مالية لتخفيف الاثار العكسية للركود الاقتصادي، وظهرت نظريته خلال الفترة التي امتدت بين الحربين العالميتين حيث خيمت فترات الأزمة الاقتصادية الكبرى (1929)، وقد ناهضت نظرية كينز النظرية الكلاسيكية في الاقتصاد التي جاء بها أدم سميت المؤيدة لتحرير السوق وإبعاد الدولة عنه .

[23]-أوتن بسمارك هو مستشار الرايخ الالماني السابق، وهو أول من أقر التأمين الصحي الإلزامي للعمال لأول مرة في عهد بسمارك في عام 1883. ومع التشريع الاجتماعي، الذي جرى توسيعه في السنوات التالية، نشأ أساس توجه دولة الرفاهية الاجتماعية، وترسخ كذلك مبدأ الدولة الاجتماعية في القانون الأساسي لجمهورية المانيا الاتحادية

[24] - أحمد السيد النجار وأخرون، مرجع سابق، ص:66

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

فإن مفهوم دولة الرعاية الاجتماعية: هو ما يجيب عن قدرة المجتمع في النهوض بشؤونه وتحقيق رخاءه وتحصين عيشه الكريم من مستويات اقتصادية، اجتماعية، وحقوقية، وهو نفسه المسار التي أخذته دولة الرعاية الاجتماعية في السياق الأوربي. فبعد كل اصلاح هيكلي في الشأن الاجتماعي، يحضر التدهور والشك حول دعم النفقات الاجتماعية، فتطفو على السطح أفكار تدعوا الى وضع مسافة بين الاقتصادي والاجتماعي ومحاولة تقوية هيكلة الاقتصادي واعتباره مجالا حرا لا يقبل المساس به، أو التدخل فيه من طرف الدولة، وجعل قيم المنافسة الحرة والربح أهم مبادئه والشروع اتباعا لهاته الإجراءات لمحاولة تأمين تحول الدولة واندماجها في نظام السوق، وتشجيع الخوصصة، وضمان هيمنة الرأسمال على صنع السياسات العمومية وتدبيرها في إطار مفهوم الليبرالية الجديدة والتي عرفت انتشارا واسعا منذ أواخر السبعينات وزادت تطورا وامتدادا في سياق العولمة الاقتصادية منذ التسعينيات الى القرن الحالي.[25]

وهو ما كان له أثر في تراجع القوى الكلاسيكية فيما يتعلق بالسلطة السياسية (الدولة ومؤسساتها) لصالح خلق نوع من التحالف والشراكات الاستراتيجية بين التقنوقراط والرأسماليين، وبالتالي ارهاصا عن تفكك تدريجي لسلطة الدولة وخضوعها تبعا لذلك لتوجهات المؤسسات المالية الدولية،[26]

وما يعرف بالشركات المتعددة الجنسية، أو نظم الهولدينغ المالي، كل هذا يجعل حقيقة دولة الرعاية الاجتماعية في ظل هذا التدبير المرتبط تعود أدراجها كأفكار يوتوبية أكثر منها وواقعية ملموسة.

2.2 : التوجهات القهرية نحو نزوع التدبير التقنوقراطي لدولة الرعاية الاجتماعية المعاصرة

من تجليات التغيرات الراديكالية اتي جاءت بها الليبيرالية الجديدة بعيدا عن تحديثها الاقتصادي والثقافي في تحرير المجالين الى أبعد مستويات التبادل والانفتاح لنمذجة أنماط استهلاكية شمولية وموحدة وفق قوالب حداثية ترسم مسارات تسليع أنماط العيش وكل ما هو مشترك، وفي حياز الحياة الإنسانية كسلعة، تبقى موقعية الدولة وعقيدة مؤسساتها أحد أكثر البنى الاجتماعية مساسا، بحكم هيمنة الاطار المرجعي المعولم المؤثر في صنع قراراتها العمومية، فأصبح الفعل العمومي تبعا لذلك بحضور باهت وأحيانا فقاد للثقة والإجماع حوله ومتأثر بتوجهات خارجية.

وهو مشهد ناجع بحكم علاقتها بالمؤسسات المالية الدولية وتغلغلها في صنع المشهد العمومي بناء على تصوراتها ورؤاها المالية والتقنية،[27] وهو ما يعكس أبز مظاهر التحولات حدوثا وافتعالا في صلب المركزية السياسية (سلطة الدولة)، والتي أصبح دورها عاجز عن ضبط المجال الاقتصادي نظرا لأزمة التسيير، مما يستدعي ضرورة الانتقال من براديجم التسيير العام الى براديجم الفعل العمومي؛[28] لكون

[25] - ماري دالي: " دولة الرفاه"، ترجمة عمر سليم التل، (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)ص:88

[26] - أحمد السيد وأخرون، مرجع سابق، ص: 73

[27] - المرجع نفسه، ص: 76

[28] - ماري دالي، مرجع سابق، ص: 68

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

هذا الأخير أضحى مجالا تشترك فيه العديد من القوى (العام والخاص، والمدني). هذا التشكل الذي يأخذ فيه الحيز الأكبر سلطة الخاص ما يجعله موجها رئيسا في بلورة وصياغة السياسات والبرامج العمومية بتزكية وبإيعاز من طرف الدولة نفسها.

وإذا كان الاعتماد الكلي منذ نهاية الخمسينيات على نهج الدول المتقدمة لأسلوبين لهيكلة جديدة تهم التدبير وتجويد الياته يتبنى أسلوب فاعلية الخبراء وأسلوب خلق بوادر مجتمع تضامني، وهي حالة تعرف نوع من الاضطراب يتداخل فيها السياسي بالإداري، والاقتصادي والاجتماعي، فإن واقع الحال قد أضحى متأثرا بمنظومة قيم العولمة، وبالتالي ينهج وفق أنماط اقتصادية وسياسية تصدرها جماعة معينة أو نطاق معين كنوع من التعميم لنمط يأخذ منطقه دون منطق واعتبارية معتمديه.

وبحكم كل تلك التأثيرات الجديدة والتي ساعدت على تحرير الوضع (اقتصاديا، تجاريا، علائقيا...)، فقد أصبحت المناطق الحرة ملاذا امنا لكثير من رؤوس الأموال المهربة من الضرائب.

وإذا كانت الدولة الوطنية يؤطرها النظام البيروقراطي المركزي، فإن اكتساح الاقتصاد الحر عاكس الوضع تماما، حينما استطاع أن ينخر جسد الدولة ويفعل قرارات تحت طائلة مبررات لا يعرف حقيقتها سوى هو، ويجعل الدولة متورطة في شرعنتها ومأزقية الإشراف على استدامتها،[29] بالرغم من عدم ملائمتها مع واقعها التدبيري والاجتماعي المعني الأول بأثرها.

إن أزمة دولة الرعاية الاجتماعية المعاصرة مما سبق تتجلى في أزمة اختيارات وتدابير تتباين وتتباعد مع حقيقة احتياجات مواطنها، ومطالبهم الأساسية، ما يجعل منها أزمة تسيير وإشراف وتمسك الدولة بالقاعدة القانونية في غياب تعامل سوسيولوجي يعيد فهم حقيقتها وتكييفها مع واقعها الاجتماعي.

ووفق هذا المشهد المختل تبدوا أن الدولة تعيش في ازدواجية مفارقة من كونها تتضمن نمطين لدولة لا تحتكم في مرجعياتها الى رؤية سياسية ونمط يعكس دولة الواجهة الديمقراطية والممثلة للأمة والشعب، والتي تسمى (الدولة السياسية)، والأخرى دولة الظل اللامرئية والمتحكمة بقرارات واملاءات المؤسسات المالية العالمية وتدعى (دولة السوق).[30]

بحيث أصبح التقنوقراط[31] في سياق الليبرالية الجديدة يحجب دور السياسي والفاعل العمومي ويزيح عنه أدواره التقليدية، ويخلص دوره الى مجرد أداة تنفيذية لرؤاه التقنية ومهاراته الميكانيكية، دون أخذ بملاحظاته السياسية سواء الإيديولوجية أو النظرية، ما يزيغ

---

[29] - سمير أمين، الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين 20و21ن ترجمة فهمية شرف الدين، (بيروت، دار الفرابي،2002)،ص: 33

[29]- العدالة ومأزقها، امارتيا صن ومفارقات العدالة، أنظر: https/ribatalkoutoub.com/p.1042، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2024/3/22

[31] - التقنوقراط مفهوم يعود بداية استخدامه للمهندس الأمريكي فريديريك تايلور (Fredrick Taylor)، ومعناه يحيل على عملية الحكم في المجتمعات على أساس الكفاءة أو المهارة الحرفيتين التخصصيتين. وبذلك فمعناه هم حكم المتخصصين وبدقة أكثر حكم الخبراء المتخصصين، غير أنه مفهوم طرح جدلا واسعا حوله بين السياسيين ممن اعتبره شيء لا يوازي أساس العمل السياسي القائم على الاختيار الديمقراطي بالتمثيل الحزبي والعمل السياسي، وهناك من الدول من اعتمدته في سياق حل الأزمات السياسية والاقتصادية المعقدة. أنظر: https//www.harmoon.org، تم الاطلاع عليه بتاريخ:2024/03/22

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

التدبير المستوعب للنقد والقابل للتقييم الى تدبير قائم على النتائج دون تلائم بين المقدم من خدمات والمطلوب كاحتياجات واقعية ومعنية بالوجود المجتمعي.

لتحول الدولة الى مجرد شيء من بين اليات السوق، وبذلك تتلخص أزمة دولة الرعاية الاجتماعية من قبيل نقص التمويل وتراجع موارد الدولة. مما أجبرها الى التفكير في السقوط في مطبات التمويل المتواصل، وهو ما يجعلها تحت وقع المديونية. وبالتالي الخضوع الكلي للجهات المقترضة وفق مصلحتها بمنطق اخضاع المقترض لقارضه المهيمن والمتحكم فيه.

3.2: تجليات ارتباك الفعل العمومي في ضوء تدبير برنامج الحماية الاجتماعية

قد يكون الاجماع الحاصل حول الإرادة السياسية التي عكست المضامين التشريعية والتطبيقية لبرنامج الحماية الاجتماعية، غير أنه في المقابل هناك العديد من المؤشرات تحمل معها مخاوف الكيفية التي سيتم بها تدبير وتنزيل هذا المشروع المجتمعي، على غرار باقي المشاريع والتي تضمنت طموحات إنمائية واجتماعية كبيرة لكنها لم تصيب الوعود وتعثرت عند قياساتها الميدانية(بعض من مشاريع المبادرة الوطنية، برنامج الرميد للتطبيب، التيسير للتعليم، صندوق التماسك الاجتماعي...)،[32] وهي وإن كانت مشاريع تعاكس نبض احتياجات المجتمع، غير أن معايير تقعيدها على مستوى الاستفادة، أو طريقة الاستهداف، أو مضمون الخدمات، أو مستوى جودتها، بقي يسائلها بل ويمتعض من سبل واليات عملها.

ما يجعل مخاوف مرافقة لهذا المشروع تستدمج اللاشعور المجتمعي جراء التعثرات العديدة والمعتادة في سياق تدابير تهم الشأن السوسيوتنموي، نجد من أساسيتها كما سبق وأن ذكرنا هو توسيع مجالات التمويل التضامني مقابل تحرير والتخلي الضمني عن مصادر تدعيمية غاية في الأهمية والاحتياج الاجتماعي من قبيل صندوق دعم المواد الغذائية الأولي ما يعرف بصندوق المقاصة.

وكذا بعض الصناديق الداعمة لما هو اجتماعي تهم فئات عريضة ومختلفة، صندوق التكافل العائلي، المساعدات الاجتماعية العينية لبعض القطاعات الاجتماعية خاصة (قطاع التعاون الوطني)،[33] أضف أن تدابير ما يعرف بآليات السجل الاجتماعي الموحد قد يؤثر سلبا على فكرة الدولة الاجتماعية، بتبنيه لمعايير وإجراءات تقنوية محضة سيتم معها حصر الدعم الاجتماعي الى أقصى المستويات، مما ينجم عنه حصر ضيق لمعايير الاستفادة منة الخدمات الاجتماعية. كما أن الانتقاد لمحددات معيارية واقعية ومستوعبة لمؤشرات الفقر بمستوياته المختلفة سيزيغ وجدوى إجرائية تلك التشخيصات. كما أن التمويل الجبائي لتلك الخدمات الاجتماعية قد يؤدي الى نتائج عكسية (فرض ضريبة على الدخل الفردي من الأجر الصافي لأصحاب الدخل المتوسط)، يوحي بارتجالية في الطرح وعشوائية في

[32] . طه السعداني، محاولات بناء الدولة الاجتماعية في المغرب.. النظرية والممارسة، مقال منشور على موقع كازابلانكا الان على الرابط التالي www.Casablancaalaan.ma، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/03/25

[33] - مجلة التعاون الوطني، ع16، الادارة المركزية لقطاع التعاون الوطني، الرباط،2013، ص: 12-19

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

التدبير ينافي خلفيات المشروع الحمائية والتدعيمية للشرائح المهمة لدعم عجلة التنمية (تأكل الطبقة المتوسطة وتقهقرها، وانتقالها الى تصنيف يقرب من الطبقة الفقيرة).[34]

فإبعاد منطق تمويل تدابير الحماية الاجتماعية عن المنظور المتكامل للعدالة الاجتماعية، عوض توجيهه بنظرة تجزيئية قد تساعد في حماية فئات مقابل إفقار وأضرار أخرى، كشكل تبريري لانسحاب الدولة الاجتماعية ورفع يدها عن ما هو اجتماعي، وتكريس مدخل اصلاح صندوق تكاليف المقاصة نحو اليات مندمجة للحماية الاجتماعية،[35] وخاصة في شقه التمويلي لتغطية خدمات لا يمكن تجاهلها أو التسيس حولها كمطالب إنسانية وحقوقية قبل أي شيء؛ من قبيل الصحة والتعليم، مما يعني الانهاء التدريجي لدعم المواد الأساسية للعديد من شرائح المجتمع.

وعلى الرغم من ارتباط عمليات الدعم والحماية باليات السجل الاجتماعي الموحد، إلا أن المراسيم المحددة لكيفيات التقييد في السجل والتقديرات الحسابية لتشخيص وتقييم الحالات الاستفادة من برنامج الدعم لا تزال ملتبسة بل وتثير جدلا واسعا حولها. وهو ما أنفر عدد من المترددين على وكالة هذا السجل، ناهيك عن الأخطاء المتكررة في الصياغة المعلوماتية المواكبة لهذا السجل، كونها تجربة مأخوذة من النظام العام للتعريف (Aadhaar)[36] للتجربة الهندية.

وتستمر الاختلالات المصاحبة لعمليات التحديد وعتبات الانتقاء بإقصاء فئات واسعة، والتي قد تكون أوضاعها أكثر تأزما واحتياجا من لائحة الحصر المستفيدة. ناهيك عن إشكالات أخرى تتعلق بوضع قواعد بيانات غير قادرة على الإحاطة بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية لفئات عريضة تشتغل في الاقتصاد غير المهيكل،[37] ما يجعل عمليات التنقيط ستكون شبه مستحيلة بالنسبة لهاته الفئة في غياب شواهد الإدلاء بالعمل والأداء التي تثبت وضعية رب الأسرة ومستوى دخله،[38] وهو ما يحتم إعادة النظر في تدابير أولية لضمان توفيق نسبي لهذا المشروع من خلال حلول وفق منطق المصلحة الفضلى لا التجزيئية أو الانتقائية حسب الظرفية والمناسبة أو الوضعية الأكثر ضغطا واستعجالية.

---

[34] - ساعف، جائحة كرونا تضع المغرب على أعتاب الدولة الاجتماعية، انظر الرابط التالي: Https:// Saaf.cerss.org، اطلع عليه بتاريخ:2024/03/25

[34]- عرض وزير المالية وإصلاح الادارة أمام مجلس النواب بمناسبة التصويت على مشروع القانون الإطار رقم 09.21 المتعلق بالحماية الاجتماعية، أطلع عليه بتاريخ 2024/3/25 في الرابط التالي: Https://bit.ly/3c4a8nq

[36] - النظام الموحد للتعريف "أدهار" قاعدة بيانات الكترونية تم ارسالها بالهند سنة 2009، تضم معلومات بيومترية حول المواطنين من حيث المعطيات الشخصية والوضعية السوسيواقتصادية، كأساس لاستهداف المعنيين بالبرامج الاجتماعية.

[37] - الحماية الاجتماعية في المغرب واقع الحال: الحصيلة وسبل تعزيز أنظمة الضمان والمساعدة الاجتماعية، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، رقم 2018/34ص 15

[38] - المادة 25 من القانون رقم 72.18 المتعلق بمنظومة استهداف المستفيدين من برامج الدعم الاجتماعي وبإحداث الوكالة الوطنية للسجلات، الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 1.20.77 في 18 من ذي الحجة 1441(8غشت 2020)، جريدة رسمية عدد 6908 بتاريخ 23 ذي الحجة 1441 (13 غشت 2020)

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

قياسا بالمكاسب المتوقع تحصيلها خلال السنوات المقبلة، يطرح تدبير الفعل العمومي للشأن الاجتماعي تأثيرات بعيدة المدى على موقعية الدولة في وضع السياسات العمومية. فمن خلال إجبار نموذج تضامني "تقني" ستقوم الدولة برفع يدها عن دعم سلسة الخدمات الاجتماعية عبر تخليه التدريجي عن مكاسب اجتماعية تهم شرائح عريضة (صندوق المقاصة، مجانية التعليم والصحة)،[39] التي طالما شكلت تجسيدا للدولة الراعية، وهو ما قد يهدد بتعميق الفجوة الاجتماعية، وليسير في اتجاه مكرس لسياسة التخلي، والذي أخذ يحظى بمناصرة الهيئات الممولة في سياق التأسيس لتقويم هيكلي مرن لصالح منطق السوق في مقابل تقهقر دور الدولة الاجتماعية. لكن مع هول مخلفات الأخطار والأزمات المتعاقبة أضحى تعزيز الوظيفة الاجتماعية للدولة ضمن رؤية شمولية "دولة الرعاية الاجتماعية" مطلبا ملحا لتحصين وحدة واستقرار المجتمع واستباقا وقائيا أمام أي أخطار فجائية بترقب عن كثب واحتراز بحذر لملازمة حضورها في أي لحظة وبأي شكل وأي مستوى من المستويات (اقتصادية، بيئية، امنية...) وتحت أي عامل مسبب لها سواء أكانت خارجة عن إرادة الانسان (طبيعة) أو بسب سلوكه الفعلي.

ـ فأي تدبير تتخذه الإجراءات الاحترازية لدولة الرعية الاجتماعية في ظل المخاطر المباغتة والمتتالية؟ ـ وهل يقتضي مجتمع المخاطر في ظل الوضع الراهن ملحاحية نظام دولة الرعاية الاجتماعية؟ وكيف واجهت دولة الرعاية الاجتماعية بالمغرب الحادث المفجع لزلزال حوز صيف 2023؟ وأي إدراك ومعاني سوسيولوجية لحادث زلزال الحوز؟ وما التدابير الاستراتيجية الممكنة اعتمادها من طرف الدولة في اطار مواجهة المخاطر المتكررة انطلاقا من تجربة فاجعة زلزال الحوز؟

ثالثا: عرض نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها

1.3: في الإدراك السوسيولوجي لحادث زلزال-الحوز-المغرب

ما دمت الأزمات والفواجع أمست ترعبنا بشكل مطرد وتحيط بنا في كل اتجاه مجسدة انتفاضة الطبيعة مصدرا لها، فهذا يستحث الوعي الاجتماعي بضرورة إدراكها وفهم تجلياتها ورصد مختلف مفاعيلها، مشددا الاهتمام بأبعادها الاجتماعية والثقافية تمثلا، خطابا، وممارسة.

ينبغي أن تستجيب لتحليل وفهم بنائي (وازدواجي)، يحاول استيعاب الذات والموضوع وبانحياز للفاعل الاجتماعي ما دمت الأخطار المحدقة تبدأ به وتنتهي إليه. ما يجعل مقاربة سوسيولوجية لكوارث طبيعية تنم عن مرونة ابستيمية تراعي موضوعا قد يغيب عنه بعض من سمات الخصائص العلمية ضمن دائرة البحث السوسيولوجي بشكل مباشر، باعتباره موضوعا ذا صلة بما هو طبيعي، ما يعني أنه متنصل لكل محاولة علمية ساعية لضبطه على النحو القياسي والتدقيقي؛ كشكل من اللايقين (ما دمت الطبيعة فيه أهوالا أكثر منه واقعا ملموسا ومجسدا).[40]

[38]- تقرير" لجنة القطاعات الاجتماعية" بمجلس النواب مشروع القانون الاطار رقم 09.21 المتعلق بالحماية الاجتماعية، الدورة الاستثنائية برسم السنة التشريعية __ الخامسة من الولاية التشريعية العاشرة 2021، ص19

[40] -Francis A Beet & Robert Hariman « learning from the pandemic Catastrophie Epistemology, -social Epstemology Review and Reply Collective, vol9 ,no 5 (2020),pp19-28.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

غير أن هذا لا يعني أن مجالا طبيعيا خالصا كهذا لا يقبل الطرح والمناقشة والتأويل السوسيولوجي، فبقدر ما يفتقد للمتغيرات والمحددات اللازمة لفحصه قوانينه السببية، فهو من زاوية أخرى يسمح للباحث السوسيولوجي في رصد وفحص التمثلات والخطابات والممارسات التي يتبناها ويستحضرها الوعي الجمعي والمجتمعي، فيأخذ تبعا لذلك مدا خيلا ومؤشرات للمساعي السوسيولوجية البحثية.

ومع ذلك لا يمكن إخراج مواضيع المخاطر الكبرى والكوارث الطبيعية خارج دوائر التحليل والتأويل السوسيولوجي، كما أننا لا يمكن الحكم عليها بالتغافل والنكران ما دمت تحدث وتقع داخل المجتمع وتلاحق الحياة المجتمعية للأفراد والجماعات، فهي تعكس ظاهرة وموضوعا سوسيولوجيا يثير الانتباه ويستأثر الاهتمام مما يساءل الادراك السوسيولوجي عنه.

ومن منطلق الأحداث المصيرية والظروف الطارئة، هي مرتبطة بالفرد والجماعة، وتشمل النتائج غير المرغوب فيها التي يواجهها، فهي تشكل مخاطر تؤثر على فئة عريضة من أفراد المجتمع، كما تعد لحظات مصيرية، لكونها تجربة معيشية قاسية مفعمة بالخوف والمعاناة، وأيضا ذاكرة تختزن تراكم تدبير وتفاعل تجسد خبرات يكتسبها الفرد والجماعات والمجتمع (الدولة). ما يتطلب القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة والمضبوطة وفق الوضعية والحالة المربكة والمنفلتة[41]

ومن ثم علينا أن نوجه إدراكنا السوسيولوجي الفاحص والنافذ لزيف ما يظهر ويوهم؛ بكشف النقاب عن ما يقبعه ويخفيه كتمثلات وأنماط ذهنية هي من تؤثر وتوجه السلوك الاجتماعي الذي بدوره يؤثر في إبراز وجوده المجتمعي على نحو ومشهد خاص يأخذ فيه ومنه أشكال تدبير الفعل العمومي للمخاطر بعضا من اختلالاته وشيئا من مكامن تعثراته.

أ- : في معنى الادراك الثقافي للزلزال:(حادث الزلزال بين حتمية القبول والتنديد بعزلة المجال)

رغم أن المغرب عاش على وقع كوارث طبيعية عديدة، سواء؛ فيضانات، جفاف، تصحر، أو زلازل (زلزال أكادير 1961، الحسيمة 1994، و2004)، والتي تسببت في إزهاق أرواح كثيرة من مواطنه، ملحقة خسائر بشرية، اقتصاديه، وعمرانية، إلا أن شكل طبيعة المجتمع والكوارث الطبيعية ظل يطبعها التجاوز والنسيان بشكل من الإهمال كون أن تلك الكوارث يقابلها أحيانا الوعي الجمعي بحتمية القدرية التي تتطلب القبول الايماني بها كابتلاءات قد يصاب بها المؤمن، ومن جملة قول تلك تبيان جلالة وعظمة الله في كونه وخلقه، ما يجعلها خارجة عن نطاق إرادة الأفراد ولا تعكس قيمة التهديدات المباشرة لواقعهم المجتمعي من قبيل أزمات (الفقر، البطالة، الحرمان).

كما أن حدوثها يبقى في علم الغيب الذي هو وحده في علم الله وشأن من شؤونه، وتجلي من تجليات قوته وعظمته، وبالتالي الايمان بقدره شره وخيره.

ما يمكن أن نعتبره قبولا ايمانيا يقينيا يبقى الاجتهاد في تحليله أو استحضاره طرحا ونقاشا لا يخرج عن نطاق إرادة الله الازلية المتعلقة في خلقه وكونه. ما يعكس ذاكرة قصيرة للكوارث الطبيعية في حياة البعض من المجتمع المغربي من منطلق التعايش مع النكبة أثناء

[41] Francis A beer, « Energy ? Environment, and International Integration, » in. : Swan L.Kwee& J.S.R Mullender (eds), Growing Against Ourselves : The Energy-Environment Tangle(Leyden A W sijthoff,1972),p31

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

حدوثها صدمة وحزنا ونسيانها عبر التشبث بالصبر والمقاومة بشرعية وحتمية الموت الفجأة، وبغثة بحوادث ووقائع هي حتمية القدر، وابتلاء الهيا يصيب بها من يشاء وفي أي وقت يختاره، ما يجعله شيئا متقبل به بل من السمات الايمانية لكل فرد مؤمن.

في هذا الصدد تطلعنا احدى "المستجوبات"[42] في دراستنا، قائلة: " فقداني لأحد الأقارب ترك حزنا عميقا مخلف معه صدمة الفاجعة، وعدم الاستيعاب لما حدث، وكيف وقع؟ !، غير أن ذلك يبقى قضاء وقدر يبتلي به من يشاء من عباده، ونقبله عن ظهر قلب، وإن كانت المنطقة تحتاج الى خصوصيات على مستوى البناء والتجهيز بحكم أنها منطقة توصف بالهزات الزلزالية النشيطة، ما يتطلب ذلك من حيطة وحذر وجهود عمومية لمجابهة التداعيات، وإن كانت ترى أسبابا أخرى يمكن إدراجها في سياق هذا الحادث، تجيبنا قطعا،" هو أكبر من أي تجهيز او جانب وقائي كونه قوة الله وسر من أسراره في كونه وعباده، في نفس الاطار تضيف "السيدة" (ل.م)[43] والتي تنتسب الى احدى الجماعات المتضررة بمنطقة الحوز (جماعة جماعة اغيل)، تقول السيدة منذ طفولتي هناك لم استشعر شيئا من هذا القبيل، والزلزال بتلك المنطقة فاجئني ولم أتوقع يوما ما أن فاجعة من هذا القبيل قد تحدث معتبرة :"أنه يدخل في قدريات الأحداث والتي لا حيلة ولا تدخل ولا معرفة مسبقة معها".

ما يحيل من المعطيات السابقة أن انتكاسات من هذا القبيل تغيب حس الاحتراز والتدبير الوقائي من صميم تلك الكوارث، كما تساعد بشكل أو اخر في تكريس اللامبالاة وغياب ثقافة التحضير والتهيئ للمخاطر، ما يضفي نوع من الاستخفاف بضرورة الحيطة وعدم استحضار تداعيات وتبعات الكوارث الطبيعية عند بعض الوعي الجمعي بالمجتمع.

غير أن قولا من هذا القبيل لا يعمم تعبيرا وخطابا أو تمثلا، ذلك أنه إذا كانت الطبيعة وكوارثها شيئا فوق إرادة الافراد وخارجة عن حدود قدراتهم، فالأوضاع المحيطة بها تقتضي التحضير والجاهزية لها بأخذ الحسبان والاحتياط اللازم ما دمت مؤشراتها موجودة، وارتداداتها واقعة، فبحكم نزعة البقاء وحفظ الذات والتشبث بالحياة خاصية إنسانية متجذرة في طبيعته أكثر ما تتجذره الفواجع في مكامن الطبيعة نفسها، فالأمر يستدعي ترصيص البنيان ودعم البنيات التحتية، وملائمة العمران خاصة مع معايير السلامة وإلزامية احترامها والعمل بها، في هذا السياق استقينا ردود أفعال ساخنة منددة ومستنكرة لظروف وواقع الحادث لا الحادث نفسه، معبرة عن استياءها الشديد اتجاه الواقع السوسيتنموي والعمراني لمجال الحادث (الحوز)، معللة قولها: "أن هشاشة البنايات وسوء المعايير المعتمدة سواء في التصميم أو البناء أو الترخيص للإسكان يبقى يطرح علامة استفهام عن أدنى معايير سلامتها"، ما ينحو منحى مخالف للموقف السابق الذكر في تمثل الزلزال وواقعته، كون أن شدة مخاطر الكوارث الطبيعية لا تبرئ مسؤولية السلوك الفردي والمجتمعي في تفاقم تبعاته، وهو ما أفادتنا به بعض الإجابات به.

يؤكد لنا "السيد" (أ.ك)، وهو أحد الزوار المترددين أكثر على منطقة الحوز، ويقول:" بحكم زياراتي الدائمة للمنطقة في سياق رحلاتي السياحية هناك، كان يثيرني قلق دائم حول طبيعة الإعمار بجماعات منطق الحوز، سواء من حيث الوعاء الترابي المستوعب لتلك المباني البدائية، أو كذا مكوناتها البنائية الهشة والآيلة للسقوط، بالإضافة الى تزاحمها وامتدادها العشوائي، ويضيف غالبا ما أمتنع

[42] - مقابلة مع السيدة (ل.ف) وهي ممن افتقدن لأقاربهم في حادث الزلزال بجماعة بالمنطقة المتضررة (الحوز)، أنجزت المقابلة، ت(12-01-2024)

[43] مقابلة مع السيدة (ل.م)، وهي سيدة مزدادة وأقيمت لمدة طويلة بإحدى جماعة المنطقة المتضررة بالزلزال قبل أن تتزوج وتنتقل للعيش بمدينة صفرو، أجريت، بتاريخ 2024-01-28

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

زيارة المنطقة هناك خلال فصل الشتاء مخافة من انجرافات ترابية قد تسببها تساقطات أمطار غزيرة. كما أن الموقع الجغرافي المنتمي لسلة جبلية من جبال الاطلس الكبير هذا يجعل عوامل التعرية والانجرافات الشديدة أمرا واردا حدوثه، ما يزيد من حدية المخاطر هناك هو موقعيتها الجغرافية المنعزلة والمفتقدة لأدنى الخدمات الأساسية، خاصة (طرق، مد شبكات الماء، الكهرباء، مراكز صحية، موصلات للتنقل، وسائل تشوير، بالإضافة لتشتت التجمعات السكنية، والهضاب العالية والقمم المذهلة)، ومع أنه لا يمكن إنكار جمال المنطقة الخلاب، إلا أنها تبقى منطقة وعرة ومحتومة بالمخاطر وما يجعلها اكثر تهديدا هو كونها منطقة تغيب عنها مظاهر الحد الأدنى من أسس التنمية".[44]

ما يدرك أن منطقة الفاجعة تبقى منذرة بمخاطر متعددة تعيش تحت رحمة الطبيعة في تهديد دائم ومستدام لجغرافية وتضاريس أقل ما توصف بها أنها صعب العيش بها، تبعا للظروف السكنية والتنقلية بها (التي تبقى شبه منعدمة حسب ما زودتنا به الإجابات السابقة).

ب . زلزال الوصم والأخلاق: تعرف منطقة الحوز بإشعاعها السياحي وموروثها العمراني والثقافي، وهو ما يجعلها وجهة سياحية تعزز صدى جهة مراكش ككل، وبحكم قربها لمدينة مراكش، فهي تأخذ شيئا من الشهرة السياحية لمراكش، وإن كانت مراكش تتميز سياحتها على نحو الاقتصاد الليلي كوجهة لسلسة من الفنادق والوحدات الاستجمامية الى جانب القصور ودور الضيافة والمزارات والتي تشتهر أكثر بالملاهي والنوادي الليلية وإيقاع الصخب والأنشطة الليلية (الارتداد على الحفلات الليلية المنظمة، العلب الليلية، ومزاجية الصخب المفرط).

كما تعرف مراكش وبعض من مناطقها المجاورة بانتشار ظاهرة البغاء والأنشطة الجنسية، ما يروج عنها قيما أكثر انفتاحا وتحررا تعتريه ثقافة الاستهلاك الليلي (الارتداد الكبير على الحانات، والنوادي بحثا عن حياة المتعة ومجون المراقص الليلية)، ويقابل هذه الثقافة وهذه الأنشطة تحفظا كبيرا من طرف العديد من المغاربة لتماديها على الأصول الدينية والثقافية للمغاربة، ما يعرضها لوصم أخلاقي بنعتها بالانحلال الأخلاقي والتردي القيمي خاصة من طرف الثقافة المحافظة، وهو نفسه الوصم الذي فسر على وقعه فاجعة الزلزال باعتباره لعنة إلهية وسخط رباني أصاب به المنطقة جراء صمعتها المتردية واعتراضا على ما تعرفه من انتشار مجون وفساد أخلاق وسلوكيات منافية للآداب العامة خاصة وأنها مدينة أضحى صيتها كقبلة للسياحة الجنسية على الصعيد العالمي يتبرع الريادة والشهرة العالمية.[45]

في نفس التأويل تأتي بعض الإجابات المتحصل عليها من مستجوبينا؛ ذلك أن "السيد" (ح.أ)، وهو حارس أمن خاص سابق في العديد من الملاهي الليلية بمراكش، يجيبنا قائلا:[46] " رغم أن مراكش مدينة تاريخية وثقافة أصيلة ويحيط بها من كل ضواحيها العديد من المساجد، والأضرحة، والزوايا، ناهيك على أن الساكنة متمسكة بتقاليدها المحافظة وأعرافها الأصيلة، فهي تبقى مدينة معروفة بتوافد أعداد هائلة من السياح خاصة الباحثين عن المتعة الجنسية والأنشطة الليلية.

---

[44] - مقابلة مع السيد (أ.ك) وهو أحد السياح المترددين كثيرا لمنطقة الحوز الجبلية، أجريت، بتاريخ2024/02/12.

[45] - وفق دراسة لمحرك البحث السياحي العالمي "ترافل وير" نشرت نتائجها وسائل إع_لام ايطالية، لائحة لعواصم السياحة الجنسية عبر العالم، أوردت الدراسة أن مراكش عصمة السياحة المغربية، احتلت المرتبة الثالثة عالميا ضمن مدن السياحة الجنسية العالمية. يمكن الاطلاع في https://www.alquds.co.uk بتاريخ 23-2-2024.

[46]- مقابلة مع السيد (ح.أ)، وهو أحد الحراس الخاص السابقين في سلسة من الملاهي بمدينة مراكش سابقا، أجريت، بتاريخ:22-2--2024 .

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وتبعا لقول "السيد "(ح.أ) تؤكد لنا "السيدة "[47](ب.ح)، " أن مراكش قبلة للباحثين عن حياة الليل وإيقاعه، فبحكم اشتغالي بصالون الحلاقة والتجميل هناك لأزيد من أربعة عشر عاما، كانت تتوافد علينا زبونات أغلبهن يشتغلن عاملات جنس، كما أن فترة ذروة عملنا كانت تبدأ مع المساء بشكل يومي وذلك لكون المترددات يستعدن تأهبا لقرب الليل، ما يجعل حياتهن تقتصر أكثر على الوقت الليلي، ما يفيد زخم الاقتصاد الليلي لواقع المدينة هناك.

وتبعا لكل ما ذكر، فإن العديد لا يتردد في تفسير فاجعة الزلزال عقابا إلهيا، وفي أقل الاعتقاد تمردا من قوى الطبيعة على ساكنة المنطقة بإيعاز وتفويض من بركات الصلحاء وإكراميات الأضرحة.

ما يجعله وصما أخلاقيا أو شخصيا بتصنيفات السوسيولوجي « Erving Goffman »، الذي يزيح المكانة الاجتماعية سواء للأفراد أو الجماعات الموصومة من خلال تمييزها وفقدانها تبعا لذلك لتقدير وتفاعل المجتمع معها؛ كجماعة خارجة عن النسق المعياري للمجتمع ونظامه البنائي الثقافي والقيمي الخاص به.[48]

ج .غضب الأولياء ولعنة الأضرحة: تعزيزا لما سبق يفيدنا "السيد" (أ.ط)[49] وهو أحد الأئمة السابقين بمساجد مناطق مراكش مستهلا كلماته " مراكش تربة الولي، وحضرة الملك الأولى"، هذا قول مأثور عند الوزير المرابطي السابق "بن الخطيب" في حق مدينة مراكش الأصيلة"، ويسترسل وأنا أقول:" هي حضرة مراكش المحروسة بمزارات أوليائها المباركة ومدافن الصلحاء الأوقار وفضاء الأئمة الأخيار" معقبا عن حادث الزلزال بتعبيره لحزنه العميق وحسرته على ما تركته الفاجعة ويتمم بدعواته "الله يلطف ويقلل من غضبوا علينا، منتقدا في نفس الآن نسق ومجريات الحياة التي يوصفها بالمائعة والخارجة عن حدود الله، حارصا في اجابته أن ما وقع هو من صميم قوى روحية لأهل سادة الأولياء والأخيار والشرفاء المصطفين أضرحتهم بأغلب محيط مجال الفاجعة، ويردف قائلا:" مدينة سبعة رجال (مدينة الفقهاء السبعة)؛ ألمها غضبهم وسخطهم على أحوالها فضاق بهم هول الفاجعة، مؤكدا على انه انذار أولي، وأن عواقب شديدة ستحل بالمنطقة إن لم يسرع سكانها بالثوبة والاهتداء الى الطريق المستقيم وترك المعاصي والمحرمات.

إن ادعاءات وتعبيرات من هذا القبيل في وصف لتصور أثر الفواجع والمخاطر بناء على مرجعيات ثقافية يؤطرها نزوع التديني والإيمانيات المتوارثة من قبيل مقولات الأضرحة، وبركات الأولياء، وطقوسية المجال تعيد اليات الوجود والاستمرار لها، كبنيات ثقافية ثقيلة ومتسمرة التأثير في مقاومة روح الحداثة ومآل التغير الاجتماعي، بشكل انتقائي في محددات الاجتماعي وما يتوافق مع الحس المشترك في إشكالات تدبير المخاطر والتقليل من تبعاتها لكونها تمثلها على نحو سوء الحظ والطالع المتعثر، والذي يقترن بغضب الطبيعة والقوى الغيبية في اعتراف بشرعية الوجود الاجتماعي لها، ولتبرير غياب دولة الرعاية الاجتماعية في تقلد مسؤولياتها التنموية والمدنية، بل يفحص هذا التحليل على إيجاد دعم متواصل لهاته البنيات الثقافية والروحية من قبيل الدولة نفسها بدعم شرعية استمرارها على النحو الذي تغطي به هي مسؤولياتها وواجباتها اتجاه أفراد مجتمعها من مخاطر، وأزمات، وحاجيات أساسية.

---

[47] مقابلة مع السيدة (ب.ح) حلاقة سابقة بإحدى صالونات الحلاقة والتجميل للنساء بمراكش، أجريت، بتاريخ: 24-02-2024

[48] -Erving Goffman.stigmate.Paris.Edition de Minuit,1963(1975 pour la tradiction francaise)p :12-13

[49] - مقابلة مع السيد (أ.ط)، امام سابق بإحدى مساجد ضواحي مدينة مراكش سابقا، أجريت، بتاريخ: 25-02-2024

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ما يحيلنا على صلاحية واستمرارية القيمة العلمية لأطروحة الدين والمجتمع بالمجال القروي خاصة في محورها " الأضرحة بالمجتمع القروي المغربي" : اليات الوجود والاستمرار للأنثربولوجي المغربي "عبد الغني منديب".[50]

ما يعد واحد من أهم المعيقات التي تحول دون إمكانية التعامل المثالي مع فواجع الكوارث الطبيعية خاصة على مستوى التحسيس والتوعية كإدراكات ينبغي أن لا تخاف استعمال العقل وترتمي في منطق العلم بدل الارتماء في أحضان الخرافات والأسطورة.

يظهر جليا أن غياب معالم التنمية عن المنطقة ومجالها المهمش والمعزول لم تكن مقنعة عند البعض أو على الأقل لم تظهر في تفسيراتها، فعدد الأشخاص لم يترددون في تعليق الواقع التنموي على شماعة المجرد والغيبي. بحيث اقتصر خطابها في حدود رؤية تدينية مختصرة ومجزئة، أي ما يوجبه الطقوسي بالأساس من أجل النهوض بالأوضاع الاجتماعية للساكنة وفك العزلة عنهم في مفارقة صارخة وضمنية للبنية الذهنية السائدة وفق قواعد ثقافة التديني، باعتبار حادث الزلزال بمنطقة الحوز إحالة عن معاصي هي من تسببت فيه من خلال عقاب إلهي تضرعت من أجله أولياء وأضرحة ذلك المكان، إن تصور من هذا القبيل بحاجة من داخل الوعي الجمعي والتديني السائد الى تجاوز، فنفسها الآيات القرآنية ذكرت في مضامينها سمات لظواهر طبيعية من قبيل الزلزال الخسف...بل نفسها الأمة الإسلامية سبق لها أن تعرضت لتلك الكوارث في أمم عديدة (فلسطين، مصر، الشام،...)، وهي جميعا مناطق تقع على الحزام الناري للزلازل الذي أكده العلم في الوقت الحالي، ما يؤكد على ضرورة الاستعانة بالتفسيرات العلمية والمنطق العقلاني لفهم الكون، وإعادة توجيه الخطاب الديني وإنتاجه نحو مستوى يظهر فيه مرجعا مقنعا بنظرية العقل وتغيب عنه غموض والتباسات الخرافات والأساطير.

2.3: المقترب السوسيتنموي:

أ. زلزال الحوز واستمرار أسئلة الفوارق المجالية والاجتماعية المعلقة: لا يمكن إنكار المجهودات التنموية والهيكلية التي عرفها المغرب منذ مطلع الألفية الثالثة، والتي زكتها أوراش كبرى وطموحات انخرطت فيها مشاريع استراتيجية وطنية من قبيل "المبادرة الوطنية للتنمية البشرية" ببرامجها الهيكلية، والتي حاولت تدارك الخصاص المسجل على مستويات عدة(بنيات تحتية، مواكبة الأشخاص في وضعية هشاشة، دعم تحسين الدخل والادماج السوسيواقتصادي للفئات المحتاجة)، بالإضافة الى تحديد مهام وأجهزة الحكامة التي تتماشى مع ورش الجهوية المتقدمة في محاولة إرساء نظام تقليص الفجوة بين المناطق والحواضر المركزية الكبرى (قطبي الدار البيضاء، الرباط) والاستجابة لباقي الجهات والمناطق بنوع من التخطيط الترابي المندمج والمتكامل، ومباشرة برامج تفيد فك العزلة وردع الفوارق المجالية عبر تقوية البنيات التحتية (المسالك الطرقية، الربط بشبكتي الكهرباء والماء)، وهو ما تضمنه برامج؛ من قبيل برنامج محاربة

[50] - عبد الغني منديب، الأضرحة بالمجتمع القروي المغربي اليات الوجود والاستمرار، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، (سلسلة: ندوات ومناظرات رقم102)، ص:135-154

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الفقر بالوسط القروي، والذي استهدف عبر مراحل تدريجية دعم ما هو سوسيواقتصادي وترابي يراعي هشاشة وتداعيات العجز الاجتماعي التي تعيشها المناطق القروية خاصة منها المعزولة والنائية.[51]

غير أنه أمام ظهور أي أزمة اجتماعية، سرعان ما يعاودنا الإحباط في وجه هاته المخططات التنموية، والتي وإن كانت تحمل مضامين الإصلاحات والرهانات الإنمائية والعدالية، فإن واقع التنفيذ وحقيقة الميدان وإقراريه الفعل الملموس لا يمنحها مصداقية الاجماع والقبول المجتمعي حولها.

وهو ما فضحه وعرى حقيقته زلزال الحوز، وهي المنطقة الجبلية التي لا نعرف على قراها ومداشرها النائية إلا صورا متخيلة ما عدا ما قادته مناسبات أو صدف لتواجد بها، ومهما كان حس المغامرة أو فضول الاستكشاف في جبالها (جبل توبقال) بدافع الاستجمام بجمالية طبيعتها، غير أن المقاطع التصويرية التي التقطت أعقاب الحادث تتقاطع جميعها على بدائية المباني وصعوبة العيش هناك، والذي يقترب مشهده بعوالم لا علاقة لها بالعصر المديني الذي تعيشه بعض المدن مثل الرباط، الدار البيضاء، ما يعكس ويعزز مقولة "المغرب المنسي" أو "المغرب غير النافع" منعزل عن أساسيات العيش الحد الأدنى الكريم. ما يعيد اجترار إشكالية العدالة المجالية بالمغرب على النحو الاستعجالي والإلزامي وكذا المحاساباتي؛ كتوجهات لم يعد الاختيار فيها قائما بقدر ما تستدعيه الوجوبية والإجبارية موقفا لا رجعة فيه. فأمام المعاناة المسكوت عنها في مثل هاته المناطق التي تعكس مدى شساعة الفوارق المجالية والاجتماعية بين سكان المداشر والجبال، وسكان الحواضر الكبرى، وفي ظل اقرارية التوفر على برامج مرصدة لها ميزانيات وهياكل وأطر ومسؤوليات، فهذا يحيلنا الى خلل حكامي يقتضي معه الحزم في التشخيص والتتبع وتفعيل اليات المحاسبة والمتابعة.

ب . **الزلزال وتعميق الشعور بالإقصاء** :كشفت لنا التقارير الإخبارية منها والإعلامية، وكذا مصادر لمواقع إلكترونية، وكذا فيديوهات متداولة في وسائط التواصل (الفس بوك، تيك توك،) عن مدى هشاشة وبؤس الأوضاع المعيشية التي تعرفها المنطقة المنكوبة، وما زاد الأمر تعقيدا وجعل تجربة المعاناة الاجتماعية جراء هذه الفاجعة وعمق في أزمتها، هو العجز الذي صاحب إمكانية إيصال المساعدات الأولية، وإن حضرت المبادرات والنوايا الفعلية لذلك، لكن مع غياب الشروط الأساسية الكفيلة بذلك، والتي أرغمتها الموقعية الجغرافية والتضاريسية الصعبة لمنطقة الفاجعة، كونها ذات تكوين وعر، وبامتدادات مشتتة وعالية الارتفاع (منطقة جبلية عالية) شديدة الانحدار، وما زاد الوضع سوء هو غياب بنية تحتية تربط مداشرها وقراها، ما جعل كل تلك المبادرات والأعمال التضامنية اتجاه المنطقة لا تصل محتاجيها باستثناء من لحقته تلك المساعدات بطريقة أو أخرى.

وتبعا لذلك يفيدنا "السيد" [52](ك.و) وهو أحد النشيطين الجمعويين ممن قادتهم مبادرات التضامن الى هناك، يقول السيد:" لقد صدمت بما رأته عيني ليس من هول مخلفات الفاجعة، وخسائرها الكبيرة، لكن بالحياة القاسية إن لم أقل المنعدمة في المنطقة التي تواجدت بها (جماعة أزكور) بمنطقة الحوز، إن الجماعة كلها تضررت بشدة، وهناك قرى مجاورة عاشت وضعا كارثيا، إذ تواجد سكانها تحت الأنقاض، ولم تصلهم أي مساعدات لغياب الطريق المؤدية لهم، لافتا أن جل الطرق بدائية وغير مجهزة بالكامل، مما حالنا بأي

[51] - حصيلة برنامج تقليص الفوارق المجالية والاجتماعية ودوره في تنمية الوسط القروي والمناطق الجبلية، جواب رئيس الحكومة البرلماني بتاريخ 19-11-2023، اطلع عليه في الموقع الرسمي لرئاسة الحكومة: www.cg.gov.ma بتاريخ: 25-02-2024

[52] - أجريت المقابلة مع السيد (ك.و)، أحد النشطين الجمعويين ممن شاركوا في عمليات التضامن الجمعوية بمنطقة الحوز، أجريت، بتاريخ:28-02-2024

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

شكل من الأشكال أن نسلكها نحو عدد من القرى، فبحكم سقوط صخور ضخمة انعزلت القرى عن بعضها وأضحت الأمور مرعبة، ويضيف أن اقرب مركز صحي لقرية التي تواجدت بها فحسب علمنا يبعد حوالي 30 كلم، وهو ما صعب عملية الإنقاذ، كما يصف أن بعض الطرق هناك تعود الى مرحلة الاستعمار، ولم يتم ترميمها، ما جعلها خلال فترة المساعدة أمرا صعبا للغاية. كما أن أغلب تلك الطرق والمسلكيات لا يمكنك أن تنتقل عبرها إلا بواسطة الدواب. كما أن شبكة الاتصال ضعيفة جدا في المنطقة، مما حال دون الاتصال مع باقي المتدخلين في حملات التضامن والإسعاف.

عند قراءة إجابات المستجوبين، يتضح علاوة عن الاستياء الذي يتحدث به مستجوبنا، تلمسنا شعور الخيبة جراء مأسوية الوضع السوسيوتنموي الذي يعيش عليه الوجود الاجتماعي بالمنطقة المتضررة، وهي تعبيرات تنم عن مدى الحيف والتظلم الذي تزكيه مظاهر الاقصاء والتهميش الذي يطال مجال المنطقة، وهو إشارة ضمنية لحقيقة التراتب الاجتماعي الذي يحاكيه هذا المبحوث شعورا وخطابا ويصوره على نحو واضح أمام مرأى وإطلاع تام لإدارات الدولة ومختلف المؤسسات التي واكبت عملية الإغاثة والإنقاذ هناك، ما يؤكد قصورا كبيرا في تدبير الشأن التنموي هناك.

فحتى في ظل الفاجعة سجل ارتباك على مستوى القرارات المتخذة وافتقاد للقدرات السياسية لتخفيف من معاناة الساكنة، وهو ما عبر عنه العديد من أفراد أقارب ضحايا الزلزال على مسمع ومرأى وسائل الإعلام، موجهين طلب مساعداتهم والتكفل بهم للمؤسسة الملكية مباشرة لكونه مصدر الثقة الوحيد بالنسبة لهم والذي تناجيها في أزمتها، وهذا يدل على فقدانها الثقة في الفاعل السياسي والمنتخب المحلي، وهو ما يؤكده السيد[53] (أ.ه) 54 سنة سائلا بسخرية: " أين هي الأحزاب التي نمنحها أصواتنا؟، وأين أولئك المستشارون الذي لا نراهم سوى في الحملات الترشحية؟، يتذكروننا فقط عند كل استحقاق انتخابي، متوسلين في أصواتنا، ابهين لحظة الظفر بالمقعد الانتخابي لا غير، ويضيف :" أين هي سيارات الإسعاف؟ والمراكز الصحية؟"، فما تدوال في الإعلام عقب هذا الزلزال عرى عورة المنطقة وفضح زيف اللعبة السياسية ببلدنا، كل من يريد مكاسب النخوة والنفوذ والبريستيج، يتوسل طريق السياسة لذلك، سئمنا من هذه اللعبة التي انكشفت كل خيوطها".

وهو ما يؤشر على أزمة الثقة والأخلاقيات في العمل السياسي، مما يساهم في النفور الكبير سواء في الانخراط السياسي لدى العديد من الأفراد، أو في عدم إقدام الكثير على التصويت السياسي، أو في لامبالاة فئة عريضة من المجتمع بكل ما يخص الشأن السياسي، وهي مسألة تعصف بكل المجهودات الإنمائية في النهوض بالمسألة الاجتماعية لكون الفاعل السياسي حاضر في المخيال وغائب في الواقع المجتمعي.

3.3: المقترب القيمي

أ. زلزال الحوز واحياء قيم تمغربيت المتأصلة: لقد أظهرت الفاجعة انتصار القيم المغربية الأصلية من خلال إبراز حس تضامني عالي تجاه المنطقة المتضررة، جسدتها تلقائية وعفوية الشعب مع الفاجعة، وجاعلة منها مأتمها وعزائها في نفسها قبل أي شيء مذكرة

[53] مقابلة مع السيد (أ.ه) ناشط جمعوي ممن شاركوا في التبرعات التضامنية بمنطقة الزلزال، أجريت، بتاريخ 25-02-2024

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بوحدة الهوية الوطنية للمغاربة من خلال حس وهوية "تمغربيت"[54] المتجذرة فيهم. وهو ما أدرك على مستوى القيم المستخلصة من هاته الفاجعة لسلوك ومواقف المغاربة.

ب . **قيم التضامن والإيثار المجتمعي**: في خضم مشاهد الدمار والموت التي خلفها "زلزال الحوز"، برزت على نحو خاص قيم التضامن والتلاحم بين المغاربة، وبشكل أوضح حسب أراء بعض مستجوبينا: " إن محنة الكارثة كشفت وحدة المغاربة ونبل قيمهم وطيبة معدنهم، وقدرهم على الصبر في أوقات الشدة والمحن". ما خيم عليه من جو الإسراع الى التضامن والتآزر ومد المساعدة الى بعضهم البعض.

ففي شهادة لإحدى "المستجوبات" والتي شاركت فعليا في ميدان التضامن بالمنطقة المتضررة تطلعنا عن جو التكافل والتآزر الذي عاشته هناك، وهي مراسلة إعلامية لإحدى الروابط الالكترونية على صعيد جهة فاس-مكناس، وتقول "السيدة" [55](ر.ك): " في قرية مولاي إبراهيم حيث عاينت حجم الخراب الذي خلفه الزلزال انبهرت بما رأته عيني من جو إيخاء وتكافل منقطع النظير، حركته دوافع التضامن المطلق واللامشروط من قبيل كل المغاربة، فكل المناطق والجهات المغربية تواجدت هناك في مشهد وطني قل نضيره"، لقد كانت بالفعل ملحمة عبر فيها المغاربة عن تقاسمهم لمشاعر الإنسانية فيما بينهم، كما تابعت قائلة، " ما شدني اكثر هو جو التلاحم المغربي بين الجميع باعتبار أن ما حدث لا يعني منطقة الحوز وباقي المناطق المجاورة المتضررة بها، بل هي فاجعة تفاعل معها المغاربة قاطبة وتقاسموها الى حد الايثار ونكران الذات في سبيل تقديم اقل ما يمكن لأسر الضحايا"، نفسهم الأسر تضيف "السيدة" (ر.ك):" فاجئونا بكرم الضيافة وحسن الاستقبال بالرغم من قسوة وتأزم وضعيتهم، إلا أنهم تقاسموا معنا ما توفرن لهم من طعام ومشرب، حرصا منهم عن الالتزام بقيم واجب الضيافة والذي يميز ساكنة المنطقة وكل المغاربة".

في نفس السياق، يضيف "السيد" (ج.ب)[56]، ما أحببته كثيرا هو أن رعب الحادث أتت معه روح الإنسانية العالية وترصيص التماسك المجتمعي بين المغاربة، فالروح التي طغت عنونت عن أواصر وروابط وأصولية التضامن التي توازي قيم وهوية "تمغربيت" لدى المغاربة بالمعنى الواسع لترجمة ثقافة ومجتمع، وحضارة، وأخلاق، وتماسك، كمكونات تشكل هوية المغاربة.

ج ـ **زلزال الحوزوقيم الكرم الفائض للمغاربة**: لقد استوقفتنا الكثير من المشاهد التضامنية التي صورت في مختلف المدن المغربية، بل لقيت صداها في العديد من القنوات والمواقع الدولية مركزة في عناوينها على نبل الكرم وقيم التكافل لدى المغاربة في مواجهتم لمحنة الزلزال، وهو سلوك يعكس مكنون اللاشعور الجمعي للمغاربة في نزوع التآزر في طباعهم ومكونات شخصيتهم، وما تختزنه ذاكرتهم الجمعية، فالصور رصدت كل فئات المجتمع صغار، كبار، رجال، نساء، في انخراط عفوي لم تحضره ظروف أو شروط مسبقة، بقدر ما دفعته لحظة إنسانية أثرت في كل المغاربة ودفعتهم للإسراع في مبادرات تضامنية، وهو ما أوردتنا به بعض الشهادات لمستجوبنا

---

[54] -"شائعة الاستعمال منذ سنوات السبعينات، وترمز في التفاعلات المجتمعية والمخيال المغربي إلى سردية التاريخ والحضارة والدولة والثقافة واللغة والإنسان، التي تستمد شرعيتها وجدواها وحقيقتها من مصفوفة من اليقينيات المحلية والترابية، التي مازالت ملامحها وتمظهراتها تحدد مسارات وتوجهات الجدلية المجتمعية، ولاسيما فيما يتعلق بالنظام السياسي وبإشكاليات العيش المشترك والتعايش والمصير الجماعي والهوية الجمعية والشخصية المغربية.انظر مؤلف: سعيد بنيس، "تمغربيت : محاولة لفهم اليقينيات المحلية، 2022

[55] - مقابلة مع السيدة (ر.ك) وهي مراسلة لقناة الكترونية ممن حضروا من اجل تغطية المساعدات بمنطقة الزلزال، أجريت، بتاريخ 22-2-2024

[56] - مقابلة مع السيد (ج.ب) وهو واحد من المشاركين في الحملات التبرعية لزلزال الحوز، أجريت، بتاريخ، 24-02-2024

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تطلعنا "السيدة": (ن.ح) وهي إحدى رئيسة جمعية تطوعية ممن شاركن في جمع التبرعات لدعم ضحايا الزلزال، قائلة: "إن التفاعل مع المتضررين من الزلزال، واجب وطني وليس شفقة، فثقافة التكافل مرجعية ديننا وثقافة متأصلة فينا"

وتضيف بتقاسيم متأثرة، لقد أثرت في بعض المشاهد التي أظهرت روح التضامن لدى المغاربة، من قبيل بعض الأشخاص الذين أمدونا في إطار جمع التبرعات، بطيبة كرمهم، وتستوقفنا هنا بعض المواقف لبعض المتبرعين، أتذكر منهم مثال عن طيبة الكرم لإمرأة مسنة وفي وضعية اجتماعية صعبة غير أنها أبت إلا أن تنخرط معنا في عمليات التبرعات، وفاجأتنا بإصرارها على ضرورة تقبل خاتم من الذهب الذي هو كل ما تملكه، تبرعا به لضحايا الزلزال في موقف يعكس عفويتها وصدق إنسانياتها. وفي نفس السياق نستحضر صورا كثيرة تداولت عبر وسائط التواصل الاجتماعي كلقطة ذلك الشيخ الذي جاء حاملا كيس دقيق متبرعا به، قبل أن ينسحب على متن دراجته الهوائية في هدوء ودون بهرجة. وهي كلها سلوكيات ومواقف تحاكي كرم وجود وإحسان المغاربة في هذا الزلزال الفاجع.

4.3: في الإدراك الاستراتيجي والتدبيري لكارثة زلزال الحوز:

أ. نحو تدبير المسألة الاجتماعية الجديدة (تهديدات المخاطر) ومطلب دولة الرعاية الاجتماعية:

أظهرت لنا تداعيات كارثة زلزال الحوز عن حجم القصور الإنمائي والفوارق المجالية والاجتماعية المتجذرة داخل مجالاتنا القروية خاصة المهمشة منها والمعزولة، كما كشفت النقاب عن حقيقة رعونة الفعل العمومي الموكل اليه حكامة التدبير الترابي وإرساء وإعادة التوازنية والاندماجية على نحو يضمن التأهيل العادل لكل المناطق والجهات برهانات تتوخى توزيع عادل للخيرات وفق إعمال منهجي ترابي يراعي روافد ومصادر المكاسب لكل مجال وفق حاجياته من منظور يأخذ بعين الاعتبار أولويات المسألة الاجتماعية في رزمانته الإنمائية، والتي تعد حقا دستوريا يكفلها مقتضياته وتضمنها له إطار السياسات العمومية، ما يعيد أسئلة من قبيل متى يصل قطار الركب والتنمية على سكة العدالة والمساواة؟، أي برامج تنموية ستشفي الجروح والأعطاب الاجتماعية العسيرة في المجالات الهامشية المنسية؟ وكم من الفرص نحتاجها لمعانقة حلم التنمية ببلادنا؟

علما أن كل هاته الأسئلة المتقاطعة نجد لها إجابات بل أكثر من ذلك تقنعنا بها الجهات الرسمية بلغة الأرقام والإحصائيات وتستند عليها التقارير واللقاءات مرافعة عن حصيلة تنموية تراها هي دون أن يلمسها المجتمع الذي يعيش في كنف واقعها والذي تنخره نقائض ومفارقات المسألة الاجتماعية.

وأمام وضع يزداد معه قهرية المخاطر تصبح المسألة الاجتماعية نفسها في حاجة لإعادة تعريف واستهداف وتدبير في سياق مجتمع المخاطر، والذي أضحى يشكل معالم حياتنا الاجتماعية الجديدة، ويثير الفوازع في أذهاننا قبل حدوثه أو احتمالية وقوعه ما دمت تلك المخاطر ترخي بظلالها علينا وتعمد مفعولاتها في تشكيل ثقافتنا الجديدة على نحو يجعل الفرد المغربي يعيش على وقع تهديد دائم. كيف لا والتقارير الدولية المختصة (تقرير البنك الدولي)، يعتبر المغرب من بين البلدان الأكثر تعرضا للأخطار الجيولوجية وكذا المناخية، علما أن المغرب يقع بمنطقة تعتبر نشطة زلزاليا بحزام منطقة البحر الأبيض المتوسط، الذي يبدأ شرقا من جنوب غرب تركيا وقبرص ويمتد غربا الى أن يصل المغرب، كما تحدث الزلازل نتيجة تقارب حركتي القارة الافريقية مع الأوربية بمعدل (سنتيمتر سنويا)، ويقع في غرب المغرب حزام بالمحيط الأطلسي ويؤثر على المغرب، وقد نتج عنه زلزال اكادير عام 1960 بقوة بلغت 5.7 درجة على مقياس (ريختر)،

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ما يؤثر على زلازل قوية وتدميرية تهدد المغرب. الى جانب مخاطر أخرى مهدد بها المغرب والذي سبق أن حددها برنامج التدبير المندمج للمخاطر، الذي أطلقه المغرب سنة 2009 بدعم من البنك الدولي[57]

ويعد زلزال الحوز (صيف 2023) الأخير أحد أخطر الكوارث الطبيعية التي عرفها المغرب في كل تاريخه حيث بلغت قوته حسب سلم (ريشتر) حوالي 7، وهو زلزال مدمر غير أن وقوعه بالجبال الأطلسية الكبير ساعد في حصر موجاته القوية مما حدى من قوتها فأنقذت المنطقة والمغرب من تبعات لا حسرة لها.

ومع مناطق معروفة بنشاطها الزلزالي كهاته، وفي شروط عيش ومجال هش للغاية يفتقر للبنية التحتية الأساسية، في الوقت الذي يحتاج الى بنية مضادة للزلازل، ما يعيد للأذهان ملحاحية دولة الرعاية الاجتماعية بتدابير تنموية واستراتيجية تندرج في إطارها مسألة تدبير المخاطر المحتملة الحدوث أولوية لا ثانويا.

ب. نحو إرساء البعد الاستراتيجي لتدبير المخاطر في سياق دولة الرعاية الاجتماعية:

مما لا شك فيه أن مخلفات الكوارث الطبيعية تبقى من أكبر التهديدات التي تواجه أنظمة السلطات حول العالم. ويدخل زلزال الحوز-المغرب- ضمن هذه الكوارث والتي كان ينبغي التصدي لها بفعالية وحسن تدبير احسن مما كان، وهو ما أفرزه الحادث بتساؤلات عديدة حول مدى قدرة التعاطي والتعامل للدولة مع تداعياته؟ ذلك أن المجهودات المبذولة وإن كانت معترف بها غير أنها طبعت بالارتجالية والارتباك مما حال دون فعاليتها، خالقة نوع من الارتياب في واقع التدبير العمومي إزاء مخلفاتها، ومن بين المعيبات والاختلالات المسجلة في هذا السياق نجد:

ـ **تأخر الاستجابة**: ذلك أنه بعد وقوع الزلزال، احتاج الفعل العمومي وقتا طويلا في التحرك بجدية، هذا التأخير قد تسبب في هدر الوقت الضروري الذي كان يمكن توظيفه لإنقاذ المزيد من الأرواح.

ـ **مظاهر نقص في الإعداد والتحضير**: وهو ما أربك عمل المنقذين والمسعفين، مما عطل إيقاع العمل الإسعافي الأولي، ما يعتبر قاعدة أساسية في مجال الإغاثة والإنقاذ من المخاطر والأزمات.

ـ **نقص الموارد والتجهيزات**: خاصة وأن المنطقة المتضررة تعزوها تحديات جغرافية وتضاريسية صعبت من ولوجها خاصة مع انهيار الطرق وضياع المسالك وتراكم الصخور، وهو ما يتطلب وسائل وتقنيات حديثة وتلائم مع كل الظروف، ذلك أنه بالرغم من المساعدات التضامنية الكبيرة التي ساهم بها الشعب بوفرة، إلا أنها لم تسعفها الوصول الى محتاجها بحكم انعدام المسالك والموصلات لها، وهو ما عمق من أزمة الكارثة.

ـ **في التنسيق وضعف التواصل**: وهو نفسه الإجابات التي تقدم بها العديد من مستجوبنا معبرين عن ضعف التنسيق بين الجهات الموكلة لها صلاحيات قرارات التفويض لتنظيم المبادرات التضامنية من جهة، وكيفية إيصال تلك المساعدات من جهة أخرى، ما جعل البعض يصل متأخرا في تقديمه لتلك المساعدات.

[57] - تقرير أسفر عن أن المغرب مهدد بخمس مخاطر ذات الأولوية، وهي الفياضانات، الزلازل، التسونامي، الجفاف والانهيارات الأرضية، ويشير التقرير أن المخاطر المحتملة والتي تهدد المغرب قد تكون أكثر حدة مما عرفه في السنوات الماضية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ـ ضعف التوعية والتحسيس: ذلك أن الفاجعة لم تخلف فقط معها الارتباكات القرارية والرعونات التدبيرية، بقدر ما غيبت عنها المعلومات الضرورية في المواكبة النفسية، الاجتماعية وأيضا التنظيمية في خضم وقع الصدمة على الضحايا والرأي العام.

ـ بروز تجار الازمات والنكبات: بحكم أشكال التعبئة المدنية الي واكبت كارثة الزلزال فقد سجلت بعض الانفلاتات والتجاوزات، من مظاهر التحايل الرقمي والواقعي، باستيلاء بعض الأشخاص على مواد استهلاكية وسلع تموينية، بل أكثر من ذلك تورط البعض ممن انتسبوا للعمل التطوعي صدفة ومناسبة من أجل الاسترزاق والاتجار، وكذا على مستوى بعد السلوكيات الانحرافية اتجاه ساكنة المناطق المتضررة من قبيل تحرشات بفتياتهم ونسائهم ممن وجدن الرحلات التضامنية وسيلة لإشباع نزواتهم بل وإبراز انحرافاتهم ونواياهم السيئة من خلال ما يعرف بتجار الأزمات والنكسات.

انطلاقا من هذا المحور المتعلق بالإدراك السوسيولوجي لمخاطر الزلزال الحوز، والذي أظهر مدى قدرة السوسيولوجيا على فهم مصادر التهديد للفرد والدولة الاجتماعية سلوكيا وتدبيرا، وهو ما يرهص بادئ ذي بدأ على الإشكالات الراهنة التي أخذت تدور في فلك السوسيولوجيا بجاذبية شدت بها قوة الرهانات المعرفية التي تتضمنها وقائع وظواهر المخاطر اجتماعيا، ثقافيا، سياسيا، وقيميا، ما يعزز المعرفة النوعية للسوسيولوجيا، وما قد يجود به من إعطاء صبغة علمية تقرب السوسيولوجيا ليس فقط من تماس العلوم الاجتماعية المجاورة لها (علوم سياسية، تدبيرية، الجغرافية البشرية،...)، بل تجعلها تقيم تجسيرا تكامليا مع العلوم الحقة وفق ما استحضره تاريخها التأسيسي باستدعاء واستعارة لمناهج ونظريات تلك العلوم (التطورية والوظيفية مع البيولوجيا،التفسيرية والسببة مع قوانين الفيزياء والرياضيات...)، كل هذا يعكس التكامل العلمي الذي تجسده العلاقة القائمة بين العلوم الاجتماعية وباقي العلوم الأخرى.

خـلاصة عـامة:

وفي ختام؛ تطلعنا استنتاجات هذا البحث على أن المجتمع الراهن أخذ يطبع أكثر "كمجتمع للمخاطر المتوالية "، حيث أصبحت هذه المخاطر المهددة تمثل المسألة الاجتماعية الجديدة التي تتجاوز نطاق المخاوف التقليدية المرتبطة بالفقر والهشاشة والتهميش، لتطال وجودية الحياة الإنسانية بأكملها. إن توسع إنبثاق التهديدات المجتمعية، التي تتسم بعدم اليقين والفجائية، يعكس انتكاسات لأزمات عميقة تتجاوز تداعيات المشكلات الاجتماعية التقليدية، مما يجعل استقرار وتماسك المجتمع الإنساني رهينًا بقدرة دولة الرعاية الاجتماعية على تبني تدبير احترازي ووقائي وتنموي فعّال. ويقتضي ذلك بالضرورة إعادة إدراج إدارة المخاطر والكوارث ضمن أولويات السياسات العمومية، مع توجيه هذه السياسات نحو تحقيق عدالة اجتماعية تراعي أساسا احتياجات الفئات والمناطق الأكثر هشاشة وعزلة، لا سيما في المناطق المهددة بفواجع متكررة مثل الحوز والحسيمة وأكادير. كما يستشف البحث أهمية التشخيص السوسيولوجي الدقيق كأداة أساسية لفهم تداعيات وتعقيدات هذه المخاطر وتقويم تصويبات السياسات العمومية، بما يعزز فعالية الدولة في مواجهة التحديات المستقبلية. وفق هذه المعطيات، يطرح البحث سؤالًا مستقبليًا جوهريًا مفاده: كيف يمكن تطوير آليات التدبير العمومي بنوع من اليقظة المتوخاة لمواجهة المخاطر المهددة في المغرب لتكون أكثر تكاملًا بين البعد المؤسساتي والوعي المجتمعي، دون نسيان أو تجاهل معطى التحولات الاجتماعية والثقافية المتواترة، لضمان إرساء نظام دولة الرعاية الاجتماعية إزاء المسألة

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الاجتماعية الجديدة (تدبير المخاطر المحدقة)؟ ويعكس هذا السؤال في طياته دعوة ضمنية مفتوحة لتحفيز المزيد من الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي تدمج بين التحليل السوسيولوجي والسياسات العمومية في إطار مقاربة شمولية ومندمجة.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

لائحة المراجع والمصادر

المراجع باللغة العربية:

- السعداني، طه، "محاولات بناء الدولة الاجتماعية في المغرب.. النظرية والممارسة"، مقال منشور على موقع كازابلانكا أنظر :الرابط التالي www.Casablancaalaan.ma.

- ماري،دالي. (2015)." دولة الرفاه"، ترجمة عمر سليم التل، (: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت)

- الحماية الاجتماعية في المغرب واقع الحال: الحصيلة وسبل تعزيز أنظمة الضمان والمساعدة الاجتماعية، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، رقم 2018/34.

- المادة 25 من القانون رقم 72.18 المتعلق بمنظومة استهداف المستفيدين من برامج الدعم الاجتماعي وبإحداث الوكالة الوطنية للسجلات، الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 1.20.77 في 18 من ذي الحجة 1441(8غشت 2020)، جريدة رسمية عدد 6908 بتاريخ 23 ذي الحجة 1441 (13 غشت 2020).

- النجار، أحمد السيد. وآخرون. (2006). "دولة الرعاية الرفاهية الاجتماعية"، (، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت) .

- النظام الموحد للتعريف "أدهار" قاعدة بيانات الكترونية تم ارسالها بالهند سنة 2009، تضم معلومات بيومترية حول المواطنين من حيث المعطيات الشخصية والوضعية السوسيواقتصادية، كأساس لاستهداف المعنيين بالبرامج الاجتماعية.

- أولريش بيك. (2009)."مجتمع المخاطرة،" ترجمة جورج كثورة و إلهام الشعراني،(المكتبة الشرقية، بيروت لبنان).

- أولريش بيك.(2013) "مجتمع المخاطر العالمي": بحثا عن الأمان المفقود، ترجمة علا عادل وأخرون، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر)

- تقرير. 2021)" لجنة القطاعات الاجتماعية" بمجلس النواب مشروع القانون الاطار رقم 09.21 المتعلق بالحماية الاجتماعية، الدورة الاستثنائية برسم السنة التشريعية الخامسة من الولاية التشريعية العاشرة.

- زيغمونت بومان. وديفيد ليون. (2016) "الحداثة السائلة"، ترجمة حجاج أبو جبر، ط2 (: الشبكة العربية للأبحاث،بيروت).

- زيغمونت، بومان. وديفيد ليون. (2013). "الحياة السائلة"، ترجمة حجاج أو جبر، (: الشبكة العربية للأبحاث،بيروت).

- زيغمونت، بومان. وديفيد ليون. (2017). "الخوف السائل"، ترجمة دجاج أبو جبر، (: الشبكة العربية للأبحاث، بيروت) .

- ساعف عبد الله، جائحة كرونا تضع المغرب على أعتاب الدولة الاجتماعية، انظر الرابط التالي: Https:// Saaf.cerss.org، اطلع عليه بتاريخ:2024/03/25.

- سمير أمين. (2002). "الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين 20و21ن"، ترجمة فهمية شرف الدين، (دار الفرابي،بيروت).

- عرض وزير المالية وإصلاح الادارة أمام مجلس النواب بمناسبة التصويت على مشروع القانون الإطار رقم 09.21 المتعلق بالحماية الاجتماعية، أطلع عليه بتاريخ 2024/3/25 في الرابط التالي: Https://bit.ly/3c4a8nq.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- كريستيان بازينتي. (2014) مدار الفوضى: تغير المناخ والجغرافيا الجديدة للعنف، ترجمة سعد الدين خرفان، (سلسلة عالم المعرفة، ع 411،).

- مجلة التعاون الوطني،. 2013. ع16، الادارة المركزية لقطاع التعاون الوطني، الرباط،

- منديب، عبد الغني. "الأضرحة بالمجتمع القروي المغربي اليات الوجود والاستمرار"، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، (سلسة: ندوات ومناظرات رقم.102).

- وفق دراسة لمحرك البحث السياحي العالمي "ترافل وير" نشرت نتائجها وسائل إعلام ايطالية، لائحة لعواصم السياحة الجنسية عبر العالم، أوردت الدراسة أن مراكش عاصمة السياحة المغربية، احتلت المرتبة الثالثة عالميا ضمن مدن السياحة الجنسية العالمية. https://www.alquds.co.uk

-أمارتيا صن. (2014) "العدالة ومآزقها ومفارقات العدالة"،أنظر: https/ribatalkoutoub.com/p.1042 :https//www.harmoon.org .

-درام البصام.(2001). "ابستمولوجيا الجائحة ": في "معرفة المعرفة" الجسد والثقافة والمجتمع، مجلة عمران،ع36، (المركز العربي للأبحاث والدراسات، الدوحة، قطر).

المـراجع باللغة الأجنبية:

- Beer, F. A. (1972). *Energy, environment, and international integration*. In S. L. Kwee & J. S. R. Mullender (Eds.), *Growing against ourselves: The energy-environment tangle* (Leyden: A. W. Sijthoff).
- Goffman, E. (1975). *Stigmate* (Original work published 1963) [French translation]. Paris: Éditions de Minuit.
- Beer, F. A., & Hariman, R. (2020). Learning from the pandemic: Catastrophe epistemology. *Social Epistemology Review and Reply Collective, 9*(5).

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved